

مختصر أخبار الخلفاء للإمام الفقيه العلامة
على بن أنجب المعروف بابن الساعى
البغدادى تغمده الله برحمته
آمين

﴿قال فى كشف الظنون﴾ تاريخ ابن الساعى وهو على بن أنجب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير يزيد على ثلاثين مجلدا وله تاريخ آخر لشعراء عصره وله أيضا فى هذا الفن تآليف كثيرة منها أخبار الخلفاء وأخبار المصنفين وأخبار الحلاج وأخبار المدارس وأخبار قضاة بغداد والجامع المختصر ومناقب الخلفاء والمعلم الاتابكى والمقابر المشهورة وغرر المحاضرة وطبقات الخلفاء وغير ذلك اهـ

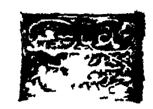
(الطبعة الاولى)
بالمطبعة الاميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٩ هجرية



﴿قال﴾ الشيخ الفقيه العلامة الفاضل المتفنن علي بن أنجب يعرف بابن الساعي البغدادي رحمه الله تعالى رحمة واسعة

الحمد لله المنزه عن الزوال والانتقال من حال الى حال وصلى الله وسلم على نبيه ورسوله سيدنا محمد بحر الفضل وكنز الكمال وعلى آله وأصحابه مصابيح الهدى ونجوم الاقبال ﴿وبعد﴾ فهذا دفتر مختصر وسفر مقتصر سميته (أخبار الخلفاء) التمس مني أن أجمعه على هذا المنوال من تجب علي اجابة سؤاله ويتعين على ذمتي القيام بتحقيق آماله والله المسؤل أن يمن باكماله وأن يتفضل على مؤلفه باصلاح أحواله وحسبنا الله ونعم الوكيل وهو الهادي الى سواء السبيل

لما قضى الله بانقضاء دولة الخلفاء الاربعة الراشدين ائمة الدين الهداة المرضيين تصرفت الأقدار الربانيه والأحكام الالهيه باظهار دولة الامويين فبرزوا بالامر وحكموا وتحكموا ألف شهر أولهم معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وآخرهم مروان بن محمد بن مروان ويلقب بالحمار وعدتهم أربعة عشر نفرا وبقتل مروان الحمار انقطعت دولتهم وانقرضت سلطنتهم وأشرقت بعدهم الاقطار الاسلامية بظهور الدولة العباسية ودار خلافتهم بغداد والكوفة



وعدة الخلفاء منهم سبع وثلاثون خليفة ۞ أولهم أبو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس عم النبي صلى الله عليه وسلم كان مقيما مع أخيه ابراهيم بن محمد بالحميمة وهي قرية قرب الكرك من أرض الشام نزلها جده علي أبو محمد السجاد بن عبد الله بن العباس رضي الله عنهما وأم علي هذا زرعة بنت مسروح بن معديكرب كان عالما زاهدا عابدا مولده ليلة الجمعة لستة أيام بقيت من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين من خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وتوفي بالحميمة وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة بقي على ذلك نيفا وخمسين سنة وكان أجل قريش ومن أحسابها وعبادها وزهادها وكان علي هذا ممن انهزم من وقعة المدينة التي تولاها مسلم بن عتبة المريسي لما جهزه يزيد بن معاوية لقتال أهل المدينة فأتى به فلما قدم اليه قامت قبائل كندة وقالوا أيها الامير ان هذا الذي قدم اليك منا والينا وذلك أن عبد الله خطب الينا فزوجناه ابنة عم لنا فقال يا معشر كندة خلعتم أيديكم من الطاعة فقالوا ما خلعنا أيدينا من طاعة ولكنا لا نمكنك من ابن اختنا فتقتله قال فقولوا له اذا يبايع يزيد قالوا أما البيعة فانه يبايع على انه والله أشرف من يزيد وأكرم أما وأبا فبايعت عنه كندة ولم يبايع هو رضوان الله عليه

(وأما ابراهيم بن محمد بن علي) فانه كان له دعاة كثيرة منهم زياد أبو محمد مولى همدان ويقال ان الذي بعثه محمد بن علي أرسله الى خراسان ومنهم حرب بن عثمان مولى بني قيس وسليمان بن كثير ومالك بن الهيثم وغير واحد وكلهم قتلوا ومثل ببعضهم وحبس بعضهم فعل ذلك بهم عمال بني أمية ولا زال الامر يتفاقم وشيعة بني العباس تتكاثر حتى توفي محمد بن علي العباسي وقام مكانه ولده ابراهيم الذي سبق ذكره وكان له دعاة منهم أبو مسلم الخراساني القهرماني



وكان ذا دهاء واتفق مع ابراهيم المذكور على أن يتوجه الى العراق ويدعوله
فأذن له فى ذلك فبايعه أبو مسلم وتوجه الى خراسان ودعا الناس الى ابراهيم
المذكور واجتمع عليه جماعة وبايعوا الابراهيم ولم يزل أمر أبى مسلم يعلو حتى كثر
جمعه فعلم به العامل على خراسان من جهة مروان الحمار فكتب الى مروان
الحمار يعلمه بذلك وكتب اليه

أرى تحت الرماد وميض جمر * ويوشك أن يكون لها ضرام
وان لم يطفها عقلاء قوم * يكون وقودها جثث وهام
فقلت من التعجب ليت شعرى * أأيقاظ أمية أم نيام

فلما وقف مروان على كتاب العامل بخراسان أرسل فأمسك ابراهيم من الحميمة
فلما أمسك ابراهيم علم أنه ميت فنعى نفسه الى أهل بيته وأمرهم أن يخرجوا
من الحميمة وأن يسيروا الى خراسان صحبة أخيه عبد الله المعروف بالسفاح ابن
محمد بن على بن عبد الله بن العباس وأمرهم بالسمع والطاعة له فخرجوا معه
مختفين وأما ابراهيم فانه لما حضر الى مروان الحمار مسوكا قيده وحبسه
فى حرّان حتى مات فى الحبس وأما عبد الله أخوه فانه سار بأهل بيته الى الكوفة
فأقام بالكوفة وبويع له بها سرّا وأبو مسلم يبايع الناس له بخراسان ثمانية
أشهر ثم اشتهر أمره واجتمع الناس عليه وكثر جمعه فسمع مروان الحمار فقصده
فى مائة ألف وعشرين ألف مقاتل فبعث اليه عبد الله جيشا فيه عشرون ألفا
صحبة عمه عبد الله بن على فسار اليه والتقى الجمعان بالباب فانهزم جيش مروان
الحمار وتبعه عبد الله ولم يزل منهزما وهو يتبعه حتى دخل مصر فتبعه فأدركه فى
كنيسة بأبو صير قرية من قرى مصر فطعنه رجل برمح فوقع وقام اليه رجل
هنالك كان يبيع الرمان فاحتز رأسه وأحضرها الى عبد الله بن على فقصها

فجاءت

بجاءت هرّة فأخذت لسانه وذلك فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين ومائة وعمره
اثنتان وستون سنة وخلافته خمس سنين وعشرة أشهر ونصف وهو آخر ملوك
بنى أمية وعدّتهم أربعة عشر كما سبق ومدة ملكهم ألف شهر ثم بعث عبد الله
ابن على برأس مروان الحمار الى ابن أخيه عبد الله بن محمد المعروف بالسفاح
وعرّفه بالفتح فسجد السفاح شكرا لله تعالى واستقرّ السفاح وهو عبد الله بن
محمد بن على بن عبد الله بن العباس فى الخلافة وهو أوّل الخلفاء العباسيين
وكانت أول خطبة خطبها بالخلافة فى الكوفة يوم الجمعة لاثنتى عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الاول وقيل بويع رابع عشر ربيع الاول سنة اثنتين
وعشرين ومائة ولما أصبح الناس يوم الجمعة المذكورة لبس الجند السلاح
واصطفوا لخروج أبى العباس السفاح وأتوا بالدواب فركب برذونا أبلق وركب
من معه من أهل بيته فدخلوا دار الامارة ثم خرج الى المسجد فخطب وصلى
بالناس ثم صعد المنبر حين بويع له بالخلافة فقام فى أعلاه وصعد عمه داود بن
على فقام دونه فتكلم أبو العباس فقال الحمد لله الذى اصطفى الاسلام لنفسه
وكرّمه وشرّفه وعظمه واختاره لنا فأيده بنا وجعلنا أهله وكهفه وحصنه
والقوّام به والذابين عنه والناصرين له فألزمنا كلمة التقوى وجعلنا أحق بها
وأهلها وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته وأنشأنا من آبائه
وأنبتنا من شجرته واشتقنا من نبعته جعله من أنفسنا عزيزا عليه ما عنتنا
حريصا علينا بالمؤمنين رؤفا رحيما ووضعنا من الاسلام وأهله بالموضع الرفيع
وأنزل بذلك على أهل الاسلام كتابا يتلى عليهم فقال تبارك وتعالى فيما أنزل من
محكم كتابه (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)
وقال تعالى (قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودّة فى القربى) وقال (وأنذر

عشيرتك الاقربين) وقال (ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى) وقال (واعلموا أنما غنمتم من شئ فان لله خمسه وللرسول ولذى القربى) فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا وأوجب عليهم حقنا ومودتنا وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمة لنا وفضلا علينا والله ذو الفضل العظيم وزعمت الشامية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا فشاهت وجوههم ولم أيها الناس وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم وبصرهم بعد جهالتهم وأنقذهم بعد هلكتهم وأظهر بنا الحق ودحض الباطل وأصلح بنا منهم ما كان فاسدا ورفع بنا الخسيسة وتمم بنا النقيصة وجمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل التعاطف والبر والمواساة فى دنياهم واخوانا على سرر متقابلين فى آخرتهم فتح الله ذلك منة وبهجة لمحمد صلى الله عليه وسلم فلما قبضه الله اليه وقام بالامر من بعده أصحابه وأمرهم شورى بينهم حووا مواريث الامم فعدلوا فيها ووضعوها مواضعها وأعطوها أهلها وخرجوا خماصا منها ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فانتبذوها وتداولوها فجاروا فيها واستأثروا بها وظلموا أهلها بما سلا الله لهم حينا حتى آسفوه فلما آسفوه انتقم منهم بأيدينا ورد علينا حقنا وتدارك بنا أمتنا وولى نصرنا والقيام بأمرنا ليمن بنا على الذين استضعفوا فى الارض وختم بنا كما افتتح بنا وانى لارجو أن لا يأتيكم الجور من حيث جاءكم الخير ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح وما توفيقنا أهل البيت الا بالله يا أهل الكوفة أنتم محل محبتنا ومنزل مودتنا أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك ولم يثنكم عنه تحامل أهل الجور عليكم حتى أدركتم زماننا وآتاكم الله بدولتنا فأنتم أسعد الناس بنا وأكرمهم علينا وقد زدتكم فى أعطياتكم مائة درهم فاستعدوا فأنا السفاح المبيح والثائر المنيح وكان موعوكا فاشتد عليه

الوعك فجلس على المنبر وقام عمه داود على مراقى المنبر فقال الحمد لله شكرا
الذى أهلك عدونا وأصار الينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أيها
الناس الآن أقشعت حنادس الدنيا وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها
وسماؤها وطلعت الشمس من مطلعها وبزغ القمر من مبزغه وأخذ القوس
باريها وعاد السهم الى منزعه ورجع الحق فى نصابه فى أهل بيت نبيكم أهل الرأفة
والرحمة بكم والعطف عليكم أيها الناس انا والله ما خرجنا فى طلب هذا الامر
لنكثر لجينا ولا عقيانا ولا نحفر نهرا ولا نبنى قصرا وانما أخرجتنا الانفة من
ابتزازهم حقنا والغضب لبنى عمنا وما كرهنا من أموركم فلقد كانت اموركم ترمضنا
ونحن على فرشنا ويشتد علينا سوء سيرة بنى أمية فيكم واستنزالهم لكم
واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم لكم ذمة الله تبارك وتعالى
وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس رحمه الله علينا أن نحكم فيكم بما
أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير فى العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى
الله عليه وسلم تبا تبا لبنى حرب بن أمية وبنى مروان آثروا فى مدتهم العاجلة على
الآجلة والدار الفانية على الدار الباقية فركبوا الآثام وظلموا الانام
وانتهكوا المحارم وغشوا الجرائم وجاروا فى سيرتهم فى العباد وسنتهم فى
البلاد وخرجوا فى أعنة المعاصى وركضوا فى ميدان الغى جهلا باستدراج الله
وأمنا لمكر الله فأتاهم بأس الله بياتا وهم نائمون فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل
ممزق فبعدا للقوم الظالمين وأدالنا الله من مروان وقد غره بالله الغرور أرسل
لعدو الله فى عنانه حتى عثر فى فضل خطامه أظن عدو الله أن لن نقدر عليه
فنادى حزبه وجمع مكايده ورمى بكتائبه فوجد أمامه ووراءه وعن يمينه وشماله
من مكر الله وبأسه ونقمته ما أمات باطله ومحا ضلاله وجعل دائرة السوء به

وأحيا شرفنا وعزنا وردّ الينا حقنا وارثنا أيها الناس ان أمير المؤمنين نصره الله نصرا عزيزا انما عاد الى المنبر بعد الصلاة لأنه كاره أن يخلط بكلام الجمعة غيره وانما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك فادعوا الله لأمير المؤمنين بالعافية فقد بدلكم الله بمروان عدو الرحمن وخليفة الشيطان المتبع السفلة الذين أفسدوا فى الارض بعد اصلاحها بابدال الدين وانتهاك حرمة المسلمين الشاب المكتهل المتمهل المقتدى بسلفه الابرار الاخيار الذين أصلحوا الارض بعد فسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى فعج الناس له بالدعاء ثم قال يا أهل الكوفة انا والله مازلنا مظلومين مقهورين على حقنا حتى أتاح الله شيعتنا أهل خراسان فأحيا بهم حقنا وأبلج بهم حجتنا وأظهر بهم دولتنا وأراكم الله بهم ما كنتم تنتظرون فأظهر فيكم الخليفة من هاشم وبيض به وجوهكم وأدالكم على أهل الشام ونقل اليكم السلطان وأعز الاسلام ومنّ عليكم بامام منحه العدالة وأعطاه حسن الايالة فخذوا ما آتاكم الله بشكر والزموا طاعتنا ولا تخدعوا عن أنفسكم فان الامر أمركم وان لكل أهل بيت مصرا وانكم مصرنا ألا وانه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الا أمير المؤمنين على بن أبى طالب وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد وأشار بيده الى أبي العباس السفاح واعلموا أن هذا الامر فينا ليس بخارج منا حتى نسلمه الى عيسى بن مريم عليه السلام والحمد لله على ما أبلانا وأولانا ثم نزل أبو العباس وداود بن على أمامه حتى دخل القصر وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور يأخذ البيعة على الناس فى المسجد فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنهم الليل فدخل ثم خرج بعد أيام يسيرة جدا معسكرا بحمام أعين واستخلف على الكوفة عمه داود وبعث عمه عبد الله الى أبي عون بن يزيد بشهرزور

وفرق أمراءه الى الديار الثائرة ولا زال يقتل ويحطم حتى أباد الدولة الأموية وقتلت عساكره مروان وفتحت مصر ومن العجائب أن مروان لما صرع بناحية أبى صير سبق اليه رجل من أهل الكوفة كان يبيع الرمان فاحتز رأسه وأمر أمير عسكر بنى العباس أن يقص لسانه فقطع فأخذه هر فقال الامير كم نرى العجائب والعبر من الايام هذا لسان مروان قد أخذته هر وفى ذلك يقول الشاعر

قد فتح الله مصر عنوة لكم * وأهلك الفاجر الجعدى اذ ظلما

فلاك مقوله هر يجرّره * وكان ربك من ذى الكفر منتقما

وسيروا الرأس الى السفاح فوصله وهو بالكوفة فلما رآه سجد ثم رفع رأسه فقال الحمد لله الذى أظهرنى عليك وأظفرنى بك ولم يبق ثارى قبلك وقبل رهطك أعداء الدين وتمثل

لو يشربون دمى لم يروشاربهم * ولا دماؤهم للغيظ ترويني

وكان السفاح قد أمن جماعة من بنى أمية منهم سليمن بن هشام فدخل على السفاح شبل بن عبد الله وفى مجلسه منهم نحو تسعين رجلا فأنشد شبل المذكور

أصبح الملك ثابت الآساس * بالبهاليل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها * بعد ميل من الزمان وباس

لا تقيلن عبد شمس عثارا * واقطعن كل رقلة وغراس

ذلها أظهر التودد منها * وبها منكم كحز المواسى

ولقد غاظنى وغاظ سوائى * قربهم من نمارق وكراسى

أنزلوها بحيث أنزلها الله * بدار الهوان والاتعاس

واذكروا مصرع الحسين وزيدا * وقتيلا بجانب المهراس
والقتيل الذى بحرّان أضحى * ثاويا بين غربة وتناسى

فلما سمع السفاح القصيدة أخذته رعدة وزمعة فالتفت بعض من كان حاضرا من بنى أمية الى من بجانبه وقال قتلنا والله العبد ثم صاح السفاح بالخراسانية ويلكم خذوهم فأخذتهم الخراسانية بالدبابيس حتى وقعوا ومدّوا عليهم النطوع وفرشوا الاخوان ووضع الطعام فوقهم وأكلوا والناس يسمعون أنينهم حتى ماتوا كلهم وقال السفاح ما أكلت فى عمرى أكلة أهنأ من هذه الاكلة ثم رفعوا الطعام وجرّوا بأرجلهم ورموهم فى الطرق فأكل أكثرهم الكلاب ثم حفر لهم حفير وألقوا فيه وأمر السفاح بنبش قبور بنى أمية فنبش قبر معاوية وقبر يزيد ولده وقبر عبد الملك بن مروان وقبر هشام ولده فوجد صحيحا فصلب ثم أنزل فأحرق ثم تتبع من بقى من بنى أمية فلم يفلت منهم غير رضيع ولما رأى من بقى منهم ذلك اختفوا وتدسسوا فى البلاد وهرب عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الى بلاد الاندلس ❁ ومات السفاح بالجدرى فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين ومائة وكان له يوم مات ثلاث وثلاثون سنة وقيل ست وثلاثون وقيل ثمان وعشرون سنة وكانت ولايته من لدن قتل مروان الى أن توفى أربع سنين ومن لدن بويع له بالخلافة الى أن مات أربع سنين وثمانية أشهر وقيل وتسعة أشهر منها ثمانية أشهر يقاتل مروان وكان جعدا طويلا أبيض أقنى الانف حسن الوجه واللحية وأمه ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثى وكان وزيره أبا الجهم بن عطية وصلى عليه عمه عيسى بن على ودفنه بالانبار العتيقة وخلف تسع جباب وأربعة أقمصة وخمس سراويلات وأربعة طيالسة وثلاثة مطارف خز وكانت وفاته بالانبار وقد عقد لاخيه أبى جعفر عبد الله المنصور من

محمد بالخلافة من بعده وجعله ولى عهد المسلمين

خلافة أبى جعفر المنصور عبد الله بن محمد بن على بن عبد الله ابن عباس رضى الله عنه

لما توفى السفاح كان أبو جعفر بمكة وقد عهد له أخوه بالخلافة وجعل العهد فى ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته فأرسل بعد وفاة السفاح الى المنصور فلقيه الرسول بمنزل صفية فقال صفت لنا ان شاء الله وكان المنصور ملكا جليلا مهيبا أعطى فى يوم واحد عشرة آلاف ألف درهم أعطى لكل عم من عمومته ألفى ألف درهم وكانوا أربعة أعمام وأعطى لعيسى بن موسى ألفى ألف درهم هذا على ما شهر به من البخل وتسميته بأبى الدوانق لبخله وهو الذى بنى مدينة بغداد وغرم عليها أربعة آلاف ألف دينار وابتدأ فى بنائها سنة خمس وأربعين ومائة وهى مدينة عظيمة ذكر الطبرى فى تاريخه أنه كان بها ستون ألف حمام وقد تم المنصور بناءها سنة تسع وأربعين ومائة وهى تشتمل على سبع محلات لا تفتقر محلة منها الى غيرها فالاولى بالجانب الشرقى بالرصافة بناها المهدى بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة احدى وخمسين والثانية مشهد أبى حنيفة والثالثة جامع السلطان والرابعة مدينة المنصور بالجانب الغربى وتسمى باب النصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر والسادسة الكرخ والسابعة دار القز يقال ان المنصور سأل راهبا كان فى صومعة عن مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أبنى هنا مدينة فقال انما يبنيها ملك يقال له أبو الدوانيق فضحك الخليفة وقال هو أنا وكان المنصور على جلالة قدره يحاسب على الدوانيق فسمى الدوانيقى ولما تمكن المنصور فى الخلافة قتل أبا مسلم الخراسانى وأسباب قتله كثيرة ولما كثرت جرائمه واشتد

غروره وداخل نفسه الخلاف والعصيان أرسل المنصور يستدعيه فامتنع فلم
يزل يلاطفه حتى قدم عليه فلما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه فتلقاه
بنو هاشم والناس ثم قدم فدخل على المنصور فقبل يده وأمره أن ينصرف ويروح
نفسه لثلاثة ويدخل الحمام فانصرف فلما كان الغد دعا المنصور عثمان بن نهيك
وأربعة من الحرس منهم شبيب بن واج وأبو حنيفة حرب بن قيس فأمرهم بقتل
أبي مسلم اذا صفق بيديه وتركهم خلف الرواق وأرسل الى أبي مسلم يستدعيه
وكان عنده عيسى بن موسى يتغدى فدخل على المنصور فقال له المنصور أخبرني
عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن علي قال هذا أحدهما قال أرنيه فانتضاه
وناوله اياه فوضعه المنصور تحت فراشه وأقبل عليه يعاتبه وقال له أخبرني عن
كتابك الى السفاح تنهاه عن الموات أردت أن تعلمنا الدين قال ظننت أن أخذه
لا يحل فلما أتاني كتابه علمت انه أهل بيت معدن العلم قال فأخبرني عن تقدمك
اياي بطريق مكة قال كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس فتقدمتك
للرفق قال فقولك لمن أشار اليك بالانصراف الى بطريق مكة حين أتاك موت
أبي العباس الى أن نقدم فنرى رأينا ومضيت فلا أنت أقمت حتى ألحقك ولا
أنت رجعت الي قال منعني من ذلك ما أخبرتك من طلب الرفق بالناس وقلت
تقدم الكوفة وليس عليك من خلاف قال فجارية عبد الله أردت أن تتخذها
قال لا ولكني خفت أن تضيع فحملتها في قبة ووكلت بها من يحفظها قال فمن
أرفقك وخروجك الى خراسان قال خفت أن يكون قد داخلك مني شيء فقلت آتي
خراسان فاكتب اليك بعذري فأذهب ما في نفسك قال فالمال الذي جمعته
بخراسان قال أنفقته بالجند تقوية لهم واستصلاحا قال ألست الكاتب الي
تبدأ بنفسك وتخطب عمتي آمنة ابنة علي وتزعم انك ابن سليط بن عبد الله بن

عباس

عباس لقد ارتقيت لا أم لك مرتقى صعبا ثم قال وما الذى دعاك الى قتل سليمان ابن كثير مع أثره فى دعوتنا وهو أحد نقبائنا قبل أن ندخلك فى هذا الامر قال أراد الخلاف وعصانى فقتلته فلما طال عتاب المنصور قال لا يقال هذا الى بعد بلائى وما كان منى قال يا ابن الخبيثة والله لو كانت أمة مكانك لأجزأت انما عملت فى دولتنا وبريحنا فلو كان ذلك اليك ما قطعت فتيلا فأخذ أبو مسلم بيده يقبلها ويعتذر اليه فقال له المنصور ما رأيت كاليوم والله ما زدتنى الا غضبا قال أبو مسلم دع هذا فقد أصبحت ما أخاف الا الله تعالى فغضب المنصور وشتمه وصفق بيده على الاخرى فخرج عليه الحرس فضربه عثمان بن نهيك فقطع حمائل سيفه فقال استبقنى لعدوك يا أمير المؤمنين فقال لا أبقانى الله اذن وأى عدو أعدى لى منك وأخذه الحرس بسيوفهم حتى قتلوه وهو يصيح العفو فقال المنصور يا ابن اللخناء العفو والسيوف قد اعتورتك فقتلوه فى شعبان لخمس بقين منه فقال المنصور

زعمت أن الدين لا ينقضى * فاستوف بالكيل أبا مجرم

سقيت كأسا كنت تسقى بها * أمر فى الحلق من العلقم

وكان أبو مسلم قد قتل فى دولته ستمائة ألف صبرا ولما قتله المنصور خطب الناس فقال أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة الى وحشة المعصية ولا تمشوا فى ظلمة الباطل بعد سعيكم فى ضياء الحق ان أبا مسلم أحسن مبتدأ وأساء معقبا وأخذ من الناس بنا أكثر مما أعطانا ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره وعلمنا من خبث سريرته وفساد نيته ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا فى قتله وعنفنا فى امهالنا وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته حتى أحل لنا عقوبته وأباحنا دمه فحكمنا فيه حكمه لنا فى غيره ولم يمنعنا الحق له من امضاء الحق فيه وما

أحسن ما قال النابغة الذبياني للنعمان

فمن أطاعك فانفعه بطاعته * كما أطاعك وادلله على الرشد

ومن عصاك فعاقبه معاقبة * تنهى الظلوم ولا تقعد على ضمد

ثم نزل * قيل لعبد الله بن المبارك أبو مسلم كان خيراً أو الحجاج قال لا أقول ان أبا مسلم كان خيراً من أحد ولكن الحجاج كان شراً منه وكان أبو مسلم نازكاً شجاعاً ذا رأي وعقل وتدبير وحزم ومروءة وقيل له بم نلت ما أنت فيه من القهر للاعداء فقال ارتديت الصبر وآثرت الكتمان وحالفت الاحزان والاشجان وسامحت المقادير والاحكام حتى بلغت غاية همتي وأدركت نهاية بغيتي ثم قال

قد نلت بالحزم والكتمان ما عجزت * عنه ملوك بني ساسان اذ حشدوا

مازلت أضربهم بالسيف فانتبهوا * من رقدة لم ينمها قبلهم أحد

طفقت أسعى عليهم في ديارهم * والقوم في ملكهم بالشام قد رقدوا

ومن رعى غنماً في أرض مسبعة * ونام عنها تولى رعيها الاسد

ولما قتله شغب أصحابه بباب القصر فخرج اليهم أبو الخصيب الحاجب وقال ان أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام وقد أمر لكم برزق سنة وضمكم الى من شئتم من أهل العراق فسكتوا ووضعت لهم الارزاق * وكان قتل أبي مسلم في شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة ويقال انه أحصى جملة من قتل أبو مسلم فكانوا ستمائة ألف نفس صبراً ۞ وفي أيام المنصور سنة احدى وأربعين ومائة خرجت الراوندية وهم قوم من خراسان على مذهب أبي مسلم يقولون بالتناسخ ويزعمون ان روح آدم في عثمان بن نهيك وان ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور وان جبرائيل هو الهيثم بن معاوية فلما ظهروا أتوا قصر المنصور فقالوا هذا قصر ربنا فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم مائتين فغضب أصحابهم وأخذوا نعشاً وحملوا

السرير وليس فى النعش أحد ومروا به حتى صاروا على باب السجن فرموا
بالنعش وحملوا على الناس ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم وقصدوا نحو
المنصور وهم يومئذ ستمائة رجل فتنادى الناس وغلقت أبواب المدينة فلم يدخل
أحد فخرج المنصور من القصر ماشيا ولم يكن فى القصر دابة فجعل بعد ذلك يرتبط
دابة معه فى القصر فلما خرج المنصور أتى بدابة فركبها وهو يريدهم وتكاثروا
عليه حتى كادوا يقتلونه وجاء معن بن زائدة الشيبانى وكان مستترا من المنصور
بقتاله مع ابن هبيرة والمنصور شديد الطلب له وقد بذل فيه مالا كثيرا
فلما كان هذا اليوم حضر عند المنصور متلثما وترجل وقاتل قتالا شديدا وأبلى
بلاء حسنا وكان المنصور راكبا على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه فأتى معن
وقال تنح فأنا أحق بهذا اللجام منك فى هذا الوقت وأعظم غناء فقال المنصور
صدق فادفعه اليه فلم يزل يقاتل حتى تكشفت الحال وظفر بالراوندية فقال له
المنصور من أنت قال طلبتك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة فقال آمنك الله على
نفسك ومالك وأهلك مثلك يصطنع وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب
المنصور وقال أنا اليوم بواب ونودى فى أهل السوق فرموهم وقاتلوهم وفتح
باب المدينة فدخل الناس فجاء خازم بن خزيمة فحمل عليهم حتى ألجأهم
الى الحائط ثم حملوا عليه فكشفوه مرتين فقال خازم للهيثم بن شعبة
اذا كروا علينا فاستبقهم الى الحائط فاذا رجعوا فاقتلهم فحملوا على خازم فاطرد
لهم وصار الهيثم من ورائهم فقتلوا جميعا وجاءهم يومئذ عثمان بن نهيك فكلمهم
فرموه بسهم عند رجوعه فوقع بين كتفيه فمرض أياما ومات منها فصلى عليه
المنصور وجعل على حرسه بعده عيسى بن نهيك فكان على الحرس حتى مات
فجعل على الحرس أبو العباس الطوسى وكان ذلك كله بالمدينة الهاشمية فلما صلى

المنصور الظهر دعا بالعشاء وأحضر معنا ورفع منزلته وقال لعمه عيسى بن على بن
عبد الله بن عباس يا أبا العباس أسمعت بأشد رجل قال نعم قال لو رأيت اليوم
معنا لعلمت أنه منهم فقال معن والله يا أمير المؤمنين لقد أتيتك وانى لوجل القلب
فلما رأيت ما عندك من الاستهانة بهم وشدة الاقدام عليهم رأيت ما لم أره من خلق
فى حرب فشد ذلك من قلبى وحملنى على ما رأيت منى وقيل كان معن مختفيا
من المنصور لما كان منه من قتاله مع ابن هبيرة كما ذكرناه وكان اختفاؤه عند
أبى الخصيب حاجب المنصور على أن يطلب له الامان فلما خرجت الراوندية جاء
معن فوقف بالباب فسأل المنصور أبا الخصيب من بالباب فقال معن بن زائدة
فقال المنصور رجل من العرب شديد النفس عالم بالحرب كريم الحسب أدخله
فلما دخل قال ايه يا معن ما الرأى قال الرأى أن تنادى فى الناس فتأمر لهم
بالاموال فقال وأين الناس والاموال ومن يقدم على أن يعرض نفسه لهؤلاء
العلوج لم تصنع شيأ يا معن الرأى أن أخرج فأقف للناس فاذا رأونى قاتلوا
وتراجعوا الى وان أقمت تهاونوا وتخاذلوا فأخذ معن بيده وقال لا أمير المؤمنين
اذا والله تقتل الساعة فأنشدك الله فى نفسك فقال له أبو الخصيب مثلها فجذب
ثوبه منهما وركب دابته وخرج ومعن آخذ بلجام دابته وأبو الخصيب مع ركابه
وأتاه رجل فقتله معن حتى قتل أربعة فى تلك الحالة حتى اجتمع اليه الناس فلم
يكن الا ساعة حتى أفنوهم ثم تغيب معن فسأل المنصور عنه أبا الخصيب فقال
لا أعلم مكانه فقال المنصور أيظن معن أن لا أغفر ذنبه بعد بلائه أعطه الامان
وأدخله على فأدخله اليه فأمر له بعشرة آلاف درهم ثم ولاه اليمن ﴿ ولما حج المنصور
حجته التى مات فيها فبينا هو يطوف بالبيت اذ سمع قائلا يقول اللهم انى أشكو
اليك ظهور البغى والفساد فى الارض وما يحول بين الحق وأهله من الطمع

فخرج المنصور الى ناحية من المسجد ودعا بالقائل فسأله عن قوله فقال يا أمير المؤمنين ان آمنتني أنبأتك بالامور على جليتها فقال انت آمن على نفسك ومالك فقال ان الذى دخله الطمع حتى حال بين الحق وأهله هو أنت يا أمير المؤمنين فقال ويحك وكيف يدخلني الطمع والصفراء والبيضاء عندى والحلو والحامض فى قبضتى فقال يا أمير المؤمنين لأن الله تعالى استرعاك للمسلمين وأموالهم فجعلت بينك وبينهم حجابا من الجص والآجر وأبوابا من الحديد وحجابا معهم الأسلحة وأمرتهم أن لا يدخل عليك الافلان وفلان ولم تأمر بايصال المظلوم ولا الملهوف ولا الضعيف ولا الفقير ولا الجائع ولا العاري وما منهم الا وله فى هذا المال حق فلما رآك هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك وآثرتهم على رعيتك تجبى الأموال فلا تعطيها وتجمعها فلا تقسمها قالوا هذا قد خان الله تعالى فما لنا لا نخونه وقد سخر لنا نفسه فاتفقوا على أن لا يصل اليك من أخبار الناس الا ما أرادوا ولا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم الا أقصوه ونفوه حتى تسقط منزلته ويتضع قدره فلما اشتهر هذا عنك وعنهم عظمهم الناس وهابوهم فكان أول من صانعهم عمالك بالهدايا ليقووا بهم على ظلم رعيتك ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من رعيتك لينالوا بهم ظلم من دونهم فامتلأت بلاد الله بالطمع ظلما وفسادا وصار هؤلاء شركاءك فى سلطانك وأنت غافل فان جاء متظلم حيل بينه وبين الدخول اليك فان أراد رفع قصة اليك وجدك قد منعت من ذلك وجعلت رجلا ينظر فى المظالم فلا يزال المظلوم يختلف اليه وهو يدافعه خوفا من بطانتك واذا صرخ بين يديك ضرب ليكون نكالا لغيره وأنت تنظر ولا تنكر فما بقاء الاسلام على هذا فان كنت يا أمير المؤمنين انما تجمع المال لولدك فقد أراك الله فى الطفل يسقط من بطن أمه وماله فى الارض مال وما من مال الا

ودونه يد شحيحة تحويه فلا يزال الله تعالى يلطف بذلك الطفل حتى يكثر ماله وتعظم رغبة الناس اليه ولست الذى تعطى وانما الله الذى يعطى من يشاء بغير حساب وان كنت انما تجمع المال لتشييد الملك وتقويته فقد أزال الله فى بنى أمية ما أغنى عنهم ما جمعوه من الذهب والفضة ولا ما أعدوه من الرجال والسلاح والكراع حين أراد الله تعالى بهم ما أراد وان كنت انما تجمع المال لطلب غاية هى أجسم من الغاية التى أنت فيها فوالله مافوق ما أنت فيه منزلة الا منزلة لا تنال الا بخلاف ما أنت عليه فبكى المنصور وأضمر خيرا فمات فى تلك الحجة فى شهر ذى الحجة محرما سنة ثمان وخمسين ومائة وعمره ثلاث وستون سنة وخلافته اثنتان وعشرون سنة وثلاثة أشهر ولما أراد الحج قال لولده المهدى يا بنى انى ولدت فى ذى الحجة وأخذت الخلافة فى ذى الحجة وقد هجس بقلبى أنى أموت فى ذى الحجة وهو الذى بعثنى على الحج وودعه وبكيا وقد ابتلى الله تعالى المنصور بأذية آل الحسن السبط عليه السلام فقتل محمد بن عبد الله بن الحسن وحبس بنى الحسن كلهم واغتالهم فى حبسه فقضوا بين مقتول ومسموم ولم ينج منهم الا سليمن وعبد الله ابنا داود بن الحسن بن الحسن بن على واسحق واسمعيل ابنا ابراهيم بن الحسن بن الحسن وجعفر بن الحسن وانقضى أمرهم والى الله المصير ۞ وقد فتح المنصور طبرستان وبنى بغداد والهاشمية والمنصورة وغيرها وفى سنة ثلاث وخمسين ومائة أخذ المنصور يلبس الناس القلانس الطوال المفرطة الطول فقال الشاعر الشهير أبو دلامة

وكنا نرجى من امام زيادة * فزاد الامام المصطفى فى القلانس

ولما ناداه منادى الاجل كان قبل موته سمع هاتفا هتف به من قصره يقول

وهو

وهو يسمع

أماورب السكون والحرك * ان المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس ان أسأت وان * أحسنت بالقصد كل ذالك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
الا بنقل السلطان عن ملك * اذا انتهى ملكه الى ملك
حتى يصير به الى ملك * ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والأرض والـ * ـمرسي الجبال المسخر الفلك

فقال المنصور هذا أوان أجلي فلم يلبث أن خرج الى مكة فلما سار من بغداد ليحج نزل قصر عبدويه فانقض في مقامه هنالك كوكب لثلاث بقين من شوال بعد اضاءة الفجر فبقي أثره بينا الى طلوع الشمس فأحضر المهدي وكان قد صحبه ليودعه فوصاه بالمال والسلطان يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بكرة وعشية فلما كان اليوم الذي ارتحل فيه قال له اني لم أدع شيأ الا وقد تقدمت اليك فيه وسأوصيك بخصال وما أظنك تفعل واحدة منها وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره فقال للمهدي انظر الى هذا السفط فاحتفظ به فان فيه علم آبائك ما كان وما هو كائن الى يوم القيامة فان حزبك أمر فانظر في الدفتر الكبير فان أصبت فيه ما تريد والا ففي الثاني والثالث حتى بلغ سبعة فان ثقل عليك فالكراسة الصغيرة فانك واجد فيها ما تريد وما أظنك تفعل وانظر هذه المدينة واياك أن تستبدل بها غيرها وقد جمعت لك فيها من الاموال ما ان كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك لأرزاق الجند والنفقات والذرية ومصلحة البعوث فاحتفظ بها فانك لا تزال عزيزا ما دام بيت مالك عامرا وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم وتحسن اليهم وتقدمهم وتوطئ الناس

أعقابهم وتوليهم المنابر فان عزلك عزهم وذكرهم لك وما أظنك تفعل وانظر
مواليك فأحسن اليهم وقربهم واستكثر منهم فانهم مادتك لشدتك ان نزلت بك
وما أظنك تفعل وأوصيك بأهل خراسان خيرا فانهم أنصارك وشيعتك الذين
بذلوا أموالهم ودماءهم في دولتك ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم ان تحسن
اليهم وتجاوز عن مسيئهم وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم في
أهله وولده وما أظنك تفعل وإياك أن تبنى مدينة الشرقية فانك لا تتم بناءها
وأظنك ستفعل وإياك أن تستعين برجل من بنى سليم وأظنك ستفعل وإياك
أن تدخل النساء في أمرك وأظنك ستفعل وقيل قال له انى ولدت في ذى الحجة
ووليت في ذى الحجة وقد هجس في نفسى أنى أموت في ذى الحجة من هذه السنة
وانما حدانى على الحج ذلك فاتق الله فيما أعهد اليك من أمور المسلمين بعدى يجعل
لك عما كربك وحزنك فرجا ومخرجا ويرزقك السلامة وحسن العاقبة من حيث
لا تحتسب يا بنى احفظ محمدا صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظك الله ويحفظ
عليك أمورك وإياك والدم الحرام فانه حوب عند الله عظيم وعار في الدنيا لازم
مقيم والزم الحدود فان فيها خلاصك في الآجل وصلاحك في العاجل ولا
تعتد فيها فتبور فان الله تعالى لو علم أن شيأ أصلح منها لدينه وأزجر عن معاصيه
لأمر به في كتابه واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه انه أمر في كتابه بتضعيف
العذاب والعقاب على من سعى في الأرض فسادا مع ماذخر له من العذاب
العظيم فقال (انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا
أن يقتلوا أو يصلبوا) الآية فالسلطان يا بنى حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه
القيم فاحفظه وحصنه وذب عنه وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه
والخارجين عنه بالعقاب ولا تجاوز ما أمر الله به في محكم القرآن واحكم بالعدل

ولا تشطط فان ذلك أقطع للشغب وأحسم للعدو وأنجع فى الدواء وعف عن
الفىء فليس بك اليه حاجة مع ما خلفه الله لك وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة
واياك والاثرة والتبذير لاموال الرعية واشحن الثغور واضبط الأطراف
وأمن السبل وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم وادفع المكاره عنهم وأعد
الاموال واخزنها واياك والتبذير فان النوائب غير مأمونة وهى من شيم الزمان
وأعد الكراع والرجال والجند ما استطعت واياك وتأخير عمل اليوم الى الغد
فتتدارك عليك الامور وتضيع جد فى احكام الامور النازلات لاوقاتها أولا
واجتهد وشمر فيها وأعد رجالا بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار ورجالا بالنهار لمعرفة
ما يكون بالليل وباشر الامور بنفسك ولا تضجر ولا تكسل واستعمل حسن
الظن وأسىء الظن بعمالك وكتابك وخذ نفسك بالتيقظ وتفقد من يبيت على
بابك وسهل اذنك للناس وانظر فى أمر النزاع اليك ووكل بهم عينا غير نائمة
ونفسا غير لاهية ولا تنم واياك فان أباك لم ينم منذ ولى الخلافة ولا دخل عينه
الغمض الا وقلبه مستيقظ هذه وصيتى اليك والله خليفتى عليك ثم ودعه
وبكى كل واحد منهما الى صاحبه ثم سار الى الكوفة وجمع بين الحج والعمرة
وساق الهدى وأشعره وقلده لايام خلت من ذى القعدة فلما سار منازل من
الكوفة عرض له وجعه الذى مات به وهو القيام فلما اشتد وجعه جعل يقول
للربيع بادربى حرم ربى هاربا من ذنوبى وكان الربيع عديله وأوصاه بما أراد فلما
وصل الى بئر ميمون مات بها مع السحر لست خلون من ذى الحجة ولم يحضره عند
وفاته الا خدمه والربيع مولاه فكتم الربيع موته ومنع من البكاء عليه ثم أصبح
فحضر أهل بيته كما كانوا يحضرون وكان أول من دعا عمه عيسى بن على فمكث
ساعة ثم أذن لابن أخيه عيسى بن موسى وكان فيما خلا يقدم على عيسى بن على

قوله وهو القيام كذا فى أصله ولعله وهو البطن اهـ مصححه

ثم أذن للأكابر وذوى الاسنان منهم ثم لعامتهم فبايعهم الربيع للمهدى ولعيسى ابن موسى بعده على يد موسى الهادى بن المهدى فلما فرغ من بيعة بنى هاشم بايع القواد وبايع عامة الناس وسار العباس بن محمد ومحمد بن سليمان الى مكة ليبايعا الناس فبايعوا بين الركن والمقام واشتغلوا بتجهيز المنصور ففرغوا منه العصر وكفن وغطى وجهه وبدنه وجعل رأسه مكشوفا لاجل احرامه وصلى عليه عيسى بن موسى وقيل ابراهيم بن يحيى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس ودفن فى مقبرة المعلاة وحفروا له مائة قبر ليغموا على الناس ودفن فى غيرها ونزل فى قبره عيسى بن على وعيسى بن محمد والربيع والريان مولياه ويقطين وقيل فى موته انه لما نزل آخر منزل بطريق مكة نظر فى صدر البيت فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك وأمر الله لابد واقع

أبا جعفر هل كاهن أم منجم * لك اليوم من حر المنية مانع

فاحضر متولى المنازل وقال له ألم آمرك أن لايدخل المنازل أحد من الناس قال والله مادخله أحد منذ فرغ فقال اقرأ ما فى صدر البيت فقال ما أرى شيأ فأحضر غيره فلم ير شيأ فأملى البيتين ثم قال لحاجبه اقرأ آية فقرأ (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) فأمر به فضرب ورحل من المنزل تطيرا فسقط عن دابته فاندق ظهره ومات كان أسمر نحيفا خفيف العارضين ولد بالحمية من أرض الشراة

❁ وأما أولاده فالمهدى محمد وجعفر الأكبر وأمهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن منصور الحميرى وكانت تكنى أم موسى ومات جعفر قبل المنصور ومنهم سليمان وعيسى ويعقوب أمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله

قوله ولعيسى بن موسى الخ كذا فى الأصل ولعله محرره

وجعفر الاصغر أمه أم ولد كردية وكان يقال له ابن الكردية وصالح المسكين أمه أم ولد رومية والقاسم مات قبل المنصور وله عشر سنين أمه أم ولد تعرف بأم القاسم ولها بباب الشام بستان يعرف ببستان أم القاسم والعالية أمها امرأة من بنى أمية

﴿خلافة المهدى محمد بن أبى جعفر عبد الله المنصور﴾

بويع بالخلافة لما بلغهم موت المنصور وكان ملكا كريما عادلا يجلس للمظالم ويقول أدخلوا على القضاة فلو لم يكن ردّى للمظالم الا حياء منهم لكفى وحج مرة ففرّق فى أهل الحرمين أموالا عظيمة حتى لم يدع بالحرمين فقيرا وعمل المصانع والآبار والبرك بطريق مكة وفى أيامه سنة أربع وستين ومائة ظهر المقنع الخراسانى واسمه عطاء وكان رجلا قصيرا أعور مشوّه الخلق وكان فى مبدأ أمره قصارا ثم تعلم السحر والشعبذة وكان يرى الناس صورة قمر يطلع ويراه الناس من مسيرة شهرين وكان يدعى أن الله تعالى حل فى آدم ثم فى نوح ثم فى نبى بعد آخر حتى حل فيه وقيل له المقنع لانه اتخذ وجها من ذهب وجعله على وجهه لقبح صورته وتبعه جمع عظيم وعظم أمره وعمل قلعة وتحصن بها فبعث اليه المهدى جيشا فلما علم بعجزه عن جيش المهدى سقى نساءه سما فتن ثم تناول من ذلك السم فمات ودخل المسلمون قلعته وقتلوا من بها وأخذوا ما فيها من الاموال ومات المهدى فى المحرم سنة تسع وستين ومائة وعمره ثلاث وأربعون سنة وخلافته عشر سنين وشهر وكان موته بماسبذان ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها وصلى عليه ابنه الرشيد وكان أبيض طويلا وقيل أسمر باحدى عينيه نكتة بياض

﴿ خلافة موسى الهادى بن المهدى ﴾

بويع بالخلافة فى اليوم الذى مات فيه أبوه وهو مقيم بجرجان فى محاربة أهل طبرستان وأخذ له البيعة شقيقه الرشيد هرون أخوه فان امه الخيزران أم الرشيد وكان ملكا جليلا مهيبا كريما أعطى فى يوم واحد لابراهيم الموصلى المغنى مائة ألف وخمسين ألف دينار ۞ وفى سنة خلافة الهادى ظهر الحسين ابن على بن الحسن بن الحسن السبط عليه السلام وسبب ذلك ان الهادى استعمل على المدينة عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن الخطاب فلما وليها أخذ أبا الزفت الحسن بن محمد بن عبد الله بن الحسن ومسلم بن جندب الشاعر الهذلى وعمر بن سلام مولى آل عمر على نبيذ لهم فأمر بهم فضربوا جميعا وجعل فى أعناقهم حبال وطيف بهم فى المدينة فجاء الحسين بن على الى العمرى وقال له قد ضربتهم ولم يكن لك أن تضربهم لان أهل العراق لا يرون به بأسا فلم تطوف بهم فأمر بهم فردوا وحبسهم ثم ان الحسين بن على ويحيى بن عبد الله ابن الحسن كفلا الحسن بن محمد فأخرجه العمرى من الحبس وكان قد ضمن بعض آل أبى طالب بعضا وكانوا يعرضون فغاب الحسن بن محمد عن العرض يومين فأحضر الحسين بن على ويحيى بن عبد الله وسألهما عنه وأغلظ لهما فخرجا وعولا على مخالفته حفظا للشرف العترة المحمدية وسار الحسين بجماعة من الطالبيين الى مكة وانضم اليه اناس من شيعتهم ومن الموالى فانتهى الخبر الى الهادى وكان قد حج تلك السنة رجال من أهل بيته منهم سليمان بن المنصور ومحمد بن سليمان بن على والعباس بن محمد بن على وموسى واسمعيل ابنا عيسى ابن موسى فكتب الهادى الى محمد بن سليمان بتوليته على الحرب وكان قد سار بجماعة وسلاح من البصرة لخوف الطريق فاجتمعوا بذى طوى وكانوا قد

أحرموا بعمرة فلما قدموا مكة طافوا وسعوا وحلوا من العمرة وعسكروا بذى طوى وانضم اليه من حج من شيعتهم ومواليهم وقوادهم ثم انهم اقتتلوا يوم التروية فانهزم أصحاب الحسين وقتل منهم وجرح وانصرف محمد بن سليمان ومن معه الى مكة ولا يعلمون ما حال الحسين فلما بلغوا ذا طوى لحقهم رجل من أهل خراسان يقول البشرى البشرى هذا رأس الحسين فأخرجه وبجبهته ضربة طولا وعلى قفاه ضربة اخرى وكانوا قد نادوا الامان فجاء الحسن بن محمد بن عبد الله أبو الزفت فوقف خلف محمد بن سليمان والعباس بن محمد فأخذه موسى ابن عيسى وعبد الله بن العباس بن محمد فقتلاه فغضب محمد بن سليمان غضبا شديدا وأخذ رؤس القتلى فكانت مائة رأس ونيفا وفيها رأس الحسن بن محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي وأخذت أخت الحسين فتركت عند زينب بنت سليمان واختلط المنهزمون بالحاج وأتى الهادى بستة أسرى فقتل بعضهم واستبقى بعضهم وغضب على موسى بن عيسى فى قتل الحسن بن محمد وقبض أمواله فلم تزل بيده حتى مات ويقال لما حملت الرؤس الى الهادى ووضع رأس الحسين بين يديه قال كأنكم قد جئتم برأس طاغوت من الطواغيت ان أقل ما أجزيكم أن أحرمكم جوائزكم فلم يعطهم شيأ وكان الحسين شجاعا كريما قدم على المهدى فأعطاه أربعين ألف دينار ففرقها فى الناس ببغداد والكوفة وخرج من الكوفة لا يملك ما يلبسه الا فروا ليس تحته قميص ﴿تنبيه﴾ ان من يمعن النظر كل الامعان بتاريخ الاسلام يعلم علما يقينا ان كل من خرج من آل بيت النبى صلى الله عليه وسلم ما كان ذلك منه الا عن مصيبة نابته وضنك مسه وفاقة لحقته وذل أهانه فان الامويين كانوا يمنون على الموالى وصعاليك العرب بمئات ألوف من الدنانير ويعطونهم الاقطاع والضيعات

ويستعملونهم على الممالك ويستوزرونهم ويقترون على الفاطميين حتى يصير الفاطمى فى ضيق ومحنة شديدة بحيث لا يجد ثمن جارية زنجية يصون بها عفته ولا ثمن كسوة يستر بها بدنه ويرى أن المخازى الذين يفرطون لبنى امية ويتمسخرون لهم فى مجالسهم ويشاركونهم فى شرابهم وفسقهم وفجورهم فى النعم والعز يتقلبون فى أنواع الرفاهة فهنالك يميز الجماعة الفاطمية شرفهم ونخوتهم فيخرجون لا خروجا عن الطاعة ولا نقضا للبيعة ولكن يقولون أرض الله واسعة فيهاجر أحدهم الى ناحية من الارض فيها قوم من أمة جده صلى الله عليه وسلم فاذا وصلهم حركتهم نخوة الدين فاحترموه وأكرموه وآلفته قلوبهم واجتمعوا عليه فتى بلغ خبره الاموين قالوا اخرج ورب الكعبة وساقوا عليه القواد والجنود ولا يزالون حتى يتركوه شهيدا وكذلك بنو العباس وماذلك الالأن الله اختار لآل نبيه المحنة فى هذه الدار الفانية والنعيم فى الآخرة الباقية وقد جعلهم الله فى كل زمان مرآة حال أهل ذلك الزمان مع الله تعالى فالزمان الذى يكرم به أهل البيت ويحمى به لائذهم ويأمن خائفهم ويعطى سائلهم وتقضى به حوائجهم فحال أهله مع الله تعالى حال حسن والعكس بالعكس ولهم رضى الله عنهم عند الله تعالى المكانة الرفيعة والمنزلة العظيمة وبهم هدى الله الامة وأزال عنها الظلمة وجدهم صلى الله عليه وسلم للناس كلهم هو الرحمة

محبتهم دين وودهم هدى * وبغضهم كفر ونصرهم تقوى

(عود) مات الهادى فى ربيع الاول سنة سبعين ومائة وعمره ست وعشرون سنة وقيل ثلاث وعشرون سنة ودفن بعيساباذا الكبرى فى بستانه وصلى عليه أخوه الرشيد وكانت خلافته سنة وثلاثة أشهر

﴿خلافة الرشيد هرون أخي الهادي بن المهدي﴾

بويع بالخلافة في الليلة التي مات فيها الهادي وكان عمره حين ولي اثنتين وعشرين سنة وأمه الخيزران أم ولد يمانية جرشية وكان مولده بالري في آخر ذي الحجة سنة خمس وأربعين ومائة وقيل ولد مستهل محرم سنة تسع وأربعين وقيل لما مات الهادي جاء يحيي بن خالد الى الرشيد وهو نائم في فراشه فقال له قم يا أمير المؤمنين فقال كم تروعني اعجابا منك بخلافتي فكيف يكون حالي مع الهادي ان بلغه هذا فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه فبينما هو يكلمه اذ آتاه رسول آخر يبشره بمولود فسماه عبد الله وهو المأمون ولبس ثيابه وخرج فصلى على الهادي بعيساباذ وقتل أبا عصمة وسار الى بغداد وكان سبب قتل أبي عصمة أن الرشيد كان سائرا هو وجعفر بن الهادي فبلغا قنطرة من قناطر عيساباذ فقال له أبو عصمة مكانك حتى يجوز ولي العهد فقال الرشيد السمع والطاعة للامير ووقف حتى جاز جعفر فكان هذا سبب قتله ﷺ واستوزر يحيي بن خالد ودفع اليه خاتمه وكان الرشيد ملكا جليلا مهيبا كريما وهو الذي أوقع بالبرامكة سنة سبع وثمانين ومائة وفتح الرشيد هرقلة سنة تسعين ومائة وكان من أمرها ان الروم كانت لهم ملكة تدعى (زمنا) تحمل الى الرشيد الجزية فخرج عليها شخص يقال له نكفور وأعانه أكابر الدولة فخلعها وملك الروم ولما ملك كتب الى الرشيد أما بعد فان الملكة التي كانت قبلي كانت قد أقامتك مقام الرخ وأقامت نفسها مقام البيدق فحملت اليك من الاموال ما كنت أحق بحمل أضعافها اليها ولكن ذلك من ضعف النساء وحمقهن فاذا قرأت كتابي فاردد ما حصل لك منها من الاموال والا فالسيف بيننا وبينك فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب وكتب على ظهر الكتاب من أمير المؤمنين هرون الى نكفور كلب الروم (أما بعد) فقد قرأت كتابك يا ابن الكافرة

والجواب ماتراه لاما تقرؤه وتجهز الرشيد من يومه وخرج في مائة ألف وستين
ألف مقاتل حتى نزل على هرقلة وحاصرها ثلاثين يوما وفتحها بالسيف وسبا
أهلها وبث عساكره في بلاد الروم ففتحوا الصفصاف وملقونية وخربوا ونهبوا
وبعث نكفور بالجزية عن رعيته وعن بطارقته حتى عن نفسه وأولاده * وفي سنة
خمس وسبعين ومائة عقد الرشيد لابنه محمد بن زبيدة بولاية العهد ولقبه الامين
وأخذ له البيعة وكان عمره خمس سنين * وفي سنة اثنتين وثمانين ومائة بايع الرشيد
لعبد الله المأمون بولاية العهد بعد الامين * وفي سنة ثلاث وثمانين ومائة مات
الامام ابن الامام سيدنا موسى الكاظم بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي
ابن أبي طالب ببغداد في حبس الرشيد وكان سبب حبسه ان الرشيد اعتمر في شهر
رمضان من سنة تسع وسبعين ومائة فلما عاد الى المدينة على ساكنها الصلاة
والسلام دخل الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم يزوره ومعه الناس فلما انتهى
الى القبر وقف فقال السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم افتخارا على من حوله
فدنا موسى بن جعفر فقال السلام عليك يا أبت فتغير وجه الرشيد وقال هذا
الفخر يا أبا الحسن ثم أخذه معه الى العراق فحبسه عند السندي ابن شاهك
وتولى حبسه اخت السندي ابن شاهك وكانت تتدين فحكت عنه انه كان اذا
صلى العتمة حمد الله ومجده ودعاه الى أن يزول الليل ثم يقوم فيصلي حتى يصلي
الصبح ثم يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم يقعد الى ارتفاع الضحى ثم يرقد
ويستيقظ قبل الزوال ثم يتوضأ ويصلي حتى يصلي العصر ثم يذكر الله حتى يصلي
المغرب ثم يصلي المغرب ثم يصلي ما بين المغرب والعتمة فكان هذا دأبه الى ان مات
وكانت اذا رأته قالت خاب قوم تعرضوا لهذا الرجل الصالح وكان يلقب الكاظم
لانه كان يحسن الى من يسيء اليه كان هذا عادته أبدا ولما كان محبوسا بعث الى

الرشيد رسالة انه لن ينقضي عني يوم من البلاء الا ينقضي عنك معه يوم من الرخاء حتى ينقضيا جميعا الى يوم ليس له انقضاء يخسر فيه المبطلون

﴿مبحث شريف﴾ أما الكاظم عليه السلام فهو صاحب الشأن العظيم والفخر الجسيم كثير التهجد الجاد في الاجتهاد المشهود له بالكرامات المشهور بالعبادة المواظب على الطاعات يبيت الليل ساجدا وقائما ويقطع النهار متصدقا وصائما ولفرط حلمه عليه السلام وتجاوزه عن المعتدين عليه كان كاظما يجازي المسيء باحسانه اليه ويقابل الجاني بعفوه عنه ولكثرة عبادته يسمى بالعبد الصالح ويعرف في العراق بباب الحوائج الى الله لنجح المتوسلين الى الله تعالى به كراماته تحار منها العقول وتقضي بأن له قدم صدق عند الله لا يزول ولادته عليه السلام بالابواء سنة ثمان وعشرين ومائة من الهجرة وقيل سنة تسع وعشرين وذلك يوم الاحد وقيل الثلاثاء الثلاث ليال خلون من صفر أمه أم ولد واسمها حميدة البربرية أخت صالح البربري عمره عليه السلام خمس وخمسون سنة منها مع أبيه الصادق عشرون سنة وكان محبوسا مدة طويلة من قبل الرشيد عشر سنين وشهرا وأياما نقل عن الفضل بن الربيع انه أخبر عن أبيه الربيع أن المهدي لما حبس موسى بن جعفر عليهما السلام فبينما هو نائم ذات ليلة رأى في منامه علي بن أبي طالب عليه السلام وهو يقول (فهل عسيتم ان توليتم ان تفسدوا في الارض وتقطعوا أرحامكم) قال الربيع فأرسل الي ليلا فراعني وخفت من ذلك فجئت اليه فاذا هو يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتا فقال علي الآن بموسى بن جعفر فجئت به فعانقه وأجلسه الى جانبه وقال يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النوم يقرأ علي كذا فتؤمنني على ان لا تخرج علي ولا على احد من ولدي فقال

والله لافعلت ذلك ولا هو من شأني قال صدقت يا ربيع أعطه ثلاثة آلاف دينار ورده الى اهله الى المدينة قال الربيع فأحكمت امره فما أصبح الا وهو في الطريق * وفاته عليه السلام ببغداد يوم الجمعة لخمس بقين من رجب سنة ثلاث وثمانين ومائة مسموما مظلوما على الصحيح من الاخبار في حبس السندي ابن شاهك سقاه السم ودفن بمدينة السلام بالجانب الغربي في المقبرة المعروفة بمقابر قريش سلام الله تعالى ورحمته وبركاته عليه وعلى آبائه الطاهرين وذريته الأكرمين ۞ وفي سنة سبع وثمانين ومائة أوقع الرشيد بالبرامكة وقتل جعفر ابن يحيى وكان سبب ذلك أن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي وكان يحضرهما اذا جلس للشرب فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر اليها ولا تقربها فاني لا أطيق الصبر عنها فأجابه الى ذلك فزوجها منه وكانا يحضران معه ثم يقوم عنهما وهما شابان فجامعها جعفر فحملت منه فولدت له غلاما فخافت الرشيد فسيرته مع حواضن له الى مكة فأعطته الجواهر والنفقات ثم ان عباسة وقع بينها وبين بعض جواريها شر فأنهت الى الرشيد فحج هرون هذه السنة وبحث عن الامر فعلمه وكان جعفر يصنع للرشيد طعاما بعسفان اذا حج فصنع ذلك ودعاه فلم يحضر عنده فكان ذلك أول تغير أمرهم وقيل كان سبب ذلك أن الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن علي الى جعفر بن يحيى بن خالد فحبسه ثم دعا به ليلة وسأله عن بعض أمره فقال له اتق الله في أمري ولا تتعرض أن يكون غدا خصمك محمد صلى الله عليه وسلم فوالله ما أحدثت حدثا ولا آويت محدثا فرق له وقال اذهب حيث شئت من بلاد الله قال فكيف أذهب ولا آمن ان أوخذ فوجه معه من أداه الى مأمنه وبلغ الخبر الفضل بن الربيع من عين كانت له من خواص جعفر فرفعه الى الرشيد فقال

ما أنت وهذا فعله عن أمرى ثم أحضر جعفر الطعام فجعل يلقمه ويحادثه
ثم سأله عن يحيى فقال هو بحاله فى الحبس فقال بحياتى ففطن جعفر فقال
لا وحياتك وقص عليه أمره وقال علمت أنه لا مكروه عنده فقال نعم ما فعلت
ما عدوت ما فى نفسى فلما قام عنه قال قتلنى الله ان لم أقتلك فكان من أمره
ما كان وقيل كان من الاسباب ان جعفرا ابتنى دارا غرم عليها عشرين ألف
ألف درهم فرفع ذلك الى الرشيد وقيل هذه غرامته على دار فما ظنك بنفقاته
وصلاته وغير ذلك فاستعظمه وكان من الاسباب أيضا ما لا تعده العامة سببا
وهو أقوى الاسباب ما سمع من يحيى بن خالد وهو يقول وقد تعلق باستار الكعبة
فى حجته هذه اللهم ان كان رضاك أن تسلبنى نعمك عندى فاسلبنى اللهم ان كان
رضاك أن تسلبنى مالى وأهلى وولدى فاسلبنى الا الفضل ثم ولى فلما كان عند
باب المسجد رجع فقال مثل ذلك وجعل يقول اللهم انه سمج بمثلى أن يستثنى
عليك اللهم والفضل وسمع أيضا يقول فى ذلك المقام اللهم ان ذنوبى جمة عظيمة
لا يحصيها غيرك اللهم ان كنت تعاقبنى فاجعل عقوبتى بذلك فى الدنيا وان أحاط
ذلك بسمعى وبصرى وولدى ومالى حتى يبلغ رضاك ولا تجعل عقوبتى فى
الآخرة فاستجيب له فلما انصرفوا من الحج ونزلوا الانبار ونزل الرشيد العمر
نكبهم * وكان يحيى اذا دخل على الرشيد قام له الغلمان فقال الرشيد لمسرور
مر الغلمان لا يقومون ليحيى اذا دخل الدار فدخلها فلم يقوموا فتغير لونه وكان
بعد ذلك اذا رأوه أعرضوا عنه فلما رجع الرشيد من الحج نزل العمر الذى عند
الانبار سلخ المحرم وأرسل مسرورا الخادم ومعه جماعة من الجند الى جعفر ليلا
وعنده ابن بختيشوع الطبيب وأبو زكار المغنى وهو فى لهوه وأبو زكار يغنى

فلا تبعد فكل فتى سيأتى * عليه الموت يطرق أو يغادى

وكل ذخيرة لابدّ يوما * وان كرمت تصير الى نفاد

قال مسرور فقلت له يا أبا الفضل الذى جئت له هو والله ذاك قد طرقك أجب أمير المؤمنين فوقع على رجلي يقبلها وقال حتى أدخل فأوصى فقلت أما الدخول فلا سبيل اليه وأما الوصية فاصنع ماشئت فأوصى بما أراد وأعتق مماليكه وأتتنى رسل الرشيد تستحثنى فضيت به اليه فأعلمته وهو فى فراشه فقال ائتنى برأسه فأتيت جعفرا فأخبرته فقال الله الله والله ماأمرك الا وهو سكران فدافع حتى أصبح أو راجعه فى ثانية فعدت لأراجعه فلما سمع حسى قال يا ماص بظر أمه ائتنى برأسه فرجعت اليه فأخبرته فقال آمره فرجعت فحذفنى بعود كان فى يده وقال نفيت من المهدى ان لم تأتنى برأسه لأقتلنك قال فخرجت فقتلته وحملت رأسه اليه ولما قتل جعفر بن يحيى قيل لأبيه قتل الرشيد ابنك قال كذلك يقتل ابنه قيل وقد أخرب ديارك قال كذلك تخرب دياره فلما بلغ ذلك الرشيد قال قد خفت أن يكون ماقاله لانه ماقال شيأ الا ورأيت تأويله وكان قتل جعفر ليلة السبت مستهل صفر وكان عمره سبعا وثلاثين سنة وكانت الوزارة اليهم سبع عشرة سنة ولما انكبوا قال الرقاشي وقيل أبو نواس

ألان استرحنا واستراحت ركابنا * وأمسك من يجدى ومن كان يجتدى

فقل للمطايا قد أمنت من السرى * وطى الفيافى فدفدا بعد فدفد

وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر * ولن تظفرى من بعده بمسوّد

وقل للعطايا بعد فضل تعطلى * وقل للرزايا كل يوم تجدّدى

ودونك سيفا برمكيا مهندا * أصيب بسيف هاشمى مهند

وفى سنة اثنتين وتسعين ومائة سار الرشيد من الرقة الى بغداد وكان مريضا ثم من بغداد سار الى النهروان واستخلف على بغداد ابنه الامين وأمر المأمون

بالمقام ببغداد فقال الفضل بن سهل للمأمون حين أراد الرشيد المسير الى خراسان لست تدرى ما يحدث بالرشيد وخراسان ولايتك ومحمد الامين المقدم عليك وان أحسن ما يصنع بك أن يخلعك وهو ابن زبيدة وأخواله بنو هاشم وزبيدة وأموالها فاطلب الى أمير المؤمنين ان تسير معه فطلب اليه ذلك فأجابه بعد امتناع فلما سار الرشيد سايره الصباح الطبرى فقال له يا صباح لا أظنك ترانى أبدا فدعا له بالبقاء فقال ما أظنك تدرى ما أجد قال الصباح لا والله فعدل عن الطريق واستظل بشجرة وأمر خواصه بالبعد فكشف عن بطنه فاذا عليه عصابة حرير فقال هذه علة أكتمها الناس كلهم ولكل واحد من ولدى على رقيب فمسرور رقيب المأمون وجبرائيل بن بختيشوع رقيب الامين وما منهم أحد الا وهو يحصى أنفاسى ويستطيل دهرى وان أردت أن تعلم ذلك فالساعة أدعو بدابة فيأتونى بدابة أعجف قطوف لتزيد به علتى فاكتم على ذلك فدعا له بالبقاء ثم طلب الرشيد دابة فجاؤا بها على ما وصف فنظر الى الصباح وركبها ۞ وفى سنة ثلاث وتسعين ومائة مات الرشيد أول جمادى الآخرة لثلاث خلون منه وكانت قد اشتدت علته بالطريق بجرجان فسار الى طوس فمات بها قال جبرائيل بن بختيشوع كنت مع الرشيد بالرقة وكنت أول من يدخل عليه فى كل غداة أتعرف حاله فى ليلته ثم يحدثنى وينبسط الى ويسألنى عن أخبار العامة فدخلت عليه يوما فسلمت عليه فلم يكد يرفع طرفه ورأيته عابسا مفكرا مهموما فوقفت مليا من النهار وهو على تلك الحال فلما طال ذلك أقدمت فسألته عن حاله وما سببه فقال ان فكرى وهمى لرؤيا رأيتها فى ليلتى هذه قد أفزعتنى وملأت صدرى فقلت فرجت عنى يا أمير المؤمنين ثم قبلت يده ورجله وقلت الرؤيا انما تكون لخاطر أو بخارات رديئة وتهاويل السوداء

وهى أضغاث أحلام قال فانى أقصها عليك رأيت كأنى جالس على سريرى هذا اذ بدت من تحتى ذراع أعرفها وكف اعرفها لا أفهم اسم صاحبها وفى الكف تربة حمراء فقال لى قائل أسمعه ولا أرى شخصه هذه التربة التى تدفن فيها فقلت وأين هذه التربة قال طوس وغابت اليد وانقطع الكلام فقلت أحسبك لما أخذت مضجعك فكرت فى خراسان وما ورد عليك منها وانتقاض بعضها فذلك الفكر أوجب هذه الرؤيا فقال كان ذلك ونسينا الرؤيا وطالت الأيام ثم سار الى خراسان فلما صار ببعض الطريق ابتدأت به العلة فلم تزل تزيد حتى دخلنا طوس فبينما هو يمرض فى بستان فى ذلك القصر الذى هو فيه اذ ذكر تلك الرؤيا فوثب متحاملا يقوم ويسقط فاجتمعنا نسأله فقال أتذكر رؤياى بالرقة فى طوس ثم رفع رأسه الى مسرور فقال جئنى من تربة هذا البستان فأتاه بها فى كفه حاسرا عن ذراعيه فلما نظر اليه قال هذه والله الذراع التى رأيتها فى منامى وهذه الكف بعينها وهذه التربة الحمراء ما خرمت شيأ وأقبل على البكاء والنحيب ثم مات بعد ثلاثة ويقال انه أحضر أبا العتاهية يوما فقال له صف لنا ما نحن فيه من نعيم هذه الدنيا فقال

عش ما بدا لك سالما * فى ظل شاهقة القصور

يسعى عليك بما اشتهيت لدى الرواح وفى البكور

فاذا النفوس تقعقعت * فى ظل حشرجة الصدور

فهناك تعلم موقنا * ما كنت الا فى غرور

فبكى الرشيد وقال الفضل بن يحيى بعث اليك أمير المؤمنين لتسره فحزنته فقال دعه فأنه رآنا فى عمى فكره أن يزيدنا مات الرشيد وعمره سبع واربعون سنة وخمسة أشهر وخلافته ثلاث وعشرون سنة وأشهر

﴿خلافة الامين بن الرشيد﴾

بويع بالخلافة لما مات أبوه الرشيد بعهد من أبيه وكان سيئ التدبير مدمن الخمر منادم الفساق وأرسل الى البلاد فى طلب الملهين وجمعهم من سائر البلاد وأجرى عليهم النفقات واحتجب عن اخوته وأهل بيته وقسم الجواهر والاموال فى خواصه وفى المحظيات والنساء واشترى غريبة المغنية بمائة ألف دينار وطلب من ابن عمه جعفر بن الهادى جارية فأبى أن يبيعه اياها فجاء الى منزل ابن عمه وشرب معه حتى أسكره فحمل الجارية معه فى زورق الى قصره فلما أصبح ابن عمه وجاء الى الخدمة أمر الامين الجارية فغنت من خلف الستر فعرفها ابن عمه فسكت ولم يتكلم بكلمة فلما كان عند خروجه قال الامين أوسقوا زورق ابن عمى له دراهم فأوسقوه له فوسع ألف بدرة وهى عشرون الف الف درهم وهى بدره الكبيرة وسيأتى ذكرها ان شاء الله تعالى وقال له عمه ابراهيم بن شكلة يوما وصلنى منك يا أمير المؤمنين الى الآن عشرون ألف ألف درهم فقال ياعم وهل هى الا خراج بعض الكور ثم قال أوسقوا زورق عمى له دنانير فيقال انه وسع ألف ألف دينار ۞ وكان الرشيد قد عهد اليه بالخلافة ومن بعده لاخيه المأمون وكتب بذلك كتابا وأودعه فى البيت الحرام فقصد الامين أن يبطل اسم المأمون من ولاية العهد ويحلف الناس لابنه موسى ولقبه الناطق بالله وكتب الى المأمون يستدعيه من خراسان ففهم المأمون فأرسل يتعلل عليه ولم يحضر فأرسل اليه الامين جيشا لحربه وقدم عليهم على بن ماهان فلقيه طاهر بن الحسين فى جماعة قليلة واقتتل واياه بارى سنة خمس وتسعين ومائة فانهزم عسكر ابن ماهان وقتل ابن ماهان وحمل رأسه الى المأمون وعاجله المأمون بجيش آخر مع طاهر بن الحسين المذكور فحاصره ومنع أهل بغداد

من الميرة ووقع فيها النهب والحريق (حكى) أن الوزير دخل على الامين لما اتفق ذلك وشكا اليه حصار بغداد وكان جالسا على بركة وفى يده سنارة فقال للوزير دعنى الساعة فان كوثرا اصاد سمكتين وأنا الى الآن ما صدت شيأ وهذه الحكاية تشبه حكاية بعض الخلفاء وكان مغرى بالحمام المنسوب ثم ان الوزير دخل اليه فشكا قصد التتر البلاد فقال دعنى أنا الساعة فى شئ أهم من هذا طيرتى البلقاء لى ثلاثة أيام ما رأيتها (ويحكى) انه لما وقعت الضجة فى بغداد وخرج كوثر المذكور وكان الامين يحبه نخرج ينظر ما الخبر فأصابته شجة فى وجهه فجلس يبكى فوبخه الامين من جانبه وجعل يمسح الدم عن وجهه ويقول

ضربوا قرة عينى * ومن أجلى ضربوه
أخذ الله لقلبى * من أناس حرقوه

ولم يزل طاهر محاصر البغداد حتى افتتحها وقتل الامين وعلق رأسه على السور وبايع الناس للمأمون فى سنة ثمان وتسعين ومائة وكان عمره يومئذ ثمانيا وعشرين سنة وخلافة الامين أربع سنين وثمانية أشهر وأمه زبيدة وهى التى حجت ماشية فى عين لزمتها وكانت تفرش لها الطنافس فتمشى عليها وتستريح ثم قالت بعد ذلك الركوب على الخنافس ولا المشى على الطنافس وأقامت فى حجتها هذه شهرين أنفقت فيها ثمانية وخمسين ألف ألف درهم (قال ابراهيم بن المهدى) لما بلغ الامين خروج طاهر بن الحسين لقتاله بعث لى ليلة فسرت اليه فاذا هو جالس فى طارمة خشبها من عود وصندل وهى مزينة بأنواع الحرير والديباج المذهب واذا سليمان بن منصور عنده فى الطارمة وبين يدى الامين قدح من البلور المخروط كان معجبا به فقال انما بعثت اليكما لما بلغنى من وصول طاهر بن الحسين الى نهروان وقد صنع فى أمرنا من المكروه ما صنع

فدعوتكما لا فرج همي بكما فأخذنا نحدثه ونسليه فدعا بجارية اسمها صعب فتطير نا باسمها وأمرها أن تغني فغنت

لهفي على فتية ذل الزمان لهم * فما أصابهم الا بما شاؤا
مازال يعدو عليهم ريب دهرهم * حتى تفانوا وريب الدهر عداء
أبكى فراقهم عيني فأرّقها * ان التفرق للمشتاق بكاء

فتطير من غنائها وشتمها وقال ما عرفت غير هذا فقالت يا سيدي ما غنيت الا ما ظننت أنك تحبه ثم عاد الى حزنه فأخذنا نحدثه ونسليه حتى ضحك ثم اقبل عليها وقال هاتي ما عندك فغنت

وشبهته كسرى وقد كان مثله * شبيها بكسرى هديه وعصائبه
هم قتلوه كي يكونوا مكانه * كما فعلت يوما بكسرى مرازبه

فتطير منها وشتمها ثم عاد الى حزنه فأخذنا نحدثه ونسليه حتى ضحك ثم اقبل عليها وقال هاتي ما عندك فغنت

ما اختلف الليل والنهار وما * دارت نجوم السماء في فلك
الا بنقل النعيم من ملك * قد انتهى ملكه الى ملك

فتطير من غنائها وشتمها وقال لها قومي لعنك الله فقامت فعثرت بالقدح فكسرته وكانت ليلة مقمرة ونحن على شاطئ الدجلة ودجلة ساكنة كأنها ورقة فقمنا متعجبين واذا بقائل يقول من داخل دجلة قضي الامر الذي فيه تستفتيان فزاد تعجبنا من ذلك وكان آخر عهدنا به

(خلافة المأمون عبد الله بن الرشيد)

بويع بالخلافة لما قتل اخوه الامين وكان بخراسان فلما بلغه الخبر استخلف على

خراسان وتوجه قاصدا بغداد ثم ان أهل بغداد بايعت لابراهيم بن المهدى عم المأمون قبل أن يصل المأمون الى بغداد ولقب المبارك ولما قارب المأمون بغداد تفللت جموع ابراهيم فهرب واختفى وسنذكر ذلك فى موضعه ان شاء الله تعالى ❁ وكان المأمون فقيها عالما حكيما كريما ولم يكن فيه ما يعاب به الا قوله بخلق القرآن وعاقب على ذلك جماعة كثيرة من العلماء لم يوافقوه (قال الأصفهانى) لما كان المأمون بالرقة كتب الى عامله ببغداد أن يمتحن العلماء فى القرآن العظيم فمن أقر أنه مخلوق محدث فخلى سبيله ومن أبى يضرب عنقه فجمع العامل العلماء مثل بشر بن الوليد وأحمد بن حنبل ومقاتل وقتيبة وغيرهم من العلماء وسألهم فقال لبشر القرآن كلام الله فقال أمخلوق هو قال الله خالق كل شئ قال والقرآن شئ قال نعم قال أمخلوق هو قال ليس بخالق فكرر عليه القول فقال لا أحسن غير هذا القول ثم سأل الباقين فكلهم يجيب قريبا مما أجاب بشر ثم سأل جماعة أخر فقالوا القرآن مجعول لا مخلوق لقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا فكتب العامل جميع مقالتهم ووجه بذلك الى المأمون فورد جوابه ان أحضر بشر بن الوليد وأحمد بن حنبل فان قالا بخلق القرآن والا فاضرب أعناقهما وأما من سواهما فيغل بالحديد ويبعث الينا فجمعهم العامل وقرأ عليهم كتاب المأمون فكلهم أجاب الى خلق القرآن الا أحمد بن حنبل ومحمد ابن نوح فأوثقهم بالحديد وبعث بهم الى المأمون فلما وصلوا الرقة بلغهم موت المأمون فأطلقوا وكان المأمون يقول الشعر فمن شعره

بعثتك مرتادا ففزت بنظرة ❁ وأغفلتنى حتى أسأت بك الظنا
أرى أثرا منها بعينيك بينا ❁ لقد أخذت عيناك من عينها احسنا

ولما كان المأمون بدمشق قل المال الذى عنده حتى ضاق صدره فشكا ذلك

الى

الى أخيه المعتصم فقال له يا أمير المؤمنين كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة ثم
حمل اليه المعتصم ثلاثين ألف ألف درهم من عمل كل ما يتولاه فلما ورد المال
قال المأمون ليحيى بن اكثم اخرج بنا حتى ننظر الى هذا المال فخرجا ونظرا اليه
وقد هيئ بأحسن هيئة وحليت أباعره فأعجب المأمون ذلك والتفت الى يحيى
وقال يا أبا محمد ننصرف بالمال ويرجع أصحابنا خائبة ان هذا اللؤم ثم دعا بمحمد
ابن داود الكاتب وقال وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان بألف ألف
ولآل فلان بكذا ولآل فلان كذا حتى فرق ورجله فى الركاب أربعة وعشرين
ألف ألف درهم وقال انما تطلب الدنيا لتملك فاذا ملكت فلتوهب الا أنه فى أيامه
كثرت فساق بغداد وصاروا يأخذون النساء والصبيان مجاهرة وينهبون القرى
وبقى الناس معهم فى بلاء عظيم فقام رجل وعلق فى عنقه مصحفا وأمر بالمعروف
ونهى عن المنكر فاجتمع عليه عالم عظيم فمنع الفساق وقهرهم وذلك فى سنة
احدى ومائتين ۞ وفى سنة احدى ومائتين جعل المأمون عليا الرضا ابن موسى
ابن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام ولى
عهد المسلمين والخليفة من بعده ولقبه الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم
وأمر جنده بطرح السواد ولبس الثياب الخضر وكتب بذلك الى الآفاق
وكتب الحسن بن سهل الى عيسى بن محمد بن أبى خالد بعد عوده الى بغداد يعلمه
ان المأمون قد جعل على بن موسى ولى عهده من بعده وذلك أنه نظر فى بنى
العباس وبنى على فلم يجد أحدا أفضل ولا أورع ولا أعلم منه وانه سماه الرضا من
آل محمد صلى الله عليه وسلم وأمره بطرح السواد ولبس الخضرة وذلك لليلتين
خلتا من شهر رمضان سنة احدى ومائتين وأمر محمدا أن يأمر من عنده من
أصحابه والجند والقواد وبنى هاشم بالبيعة له ولبس الخضرة ويأخذ أهل بغداد

جميعا بذلك فدعاهم محمد الى ذلك فأجاب بعضهم وامتنع بعضهم وقال لا تخرج
الخلافة من ولد العباس وانما هذا من الفضل بن سهل فمكثوا كذلك أياما وتكلم
بعضهم وقالوا نولي بعضنا ونخلع المأمون فكان أشدهم فيه منصور وابراهيم ابنا
المهدى * وفى ذى الحجة خاض الناس فى البيعة لابراهيم بن المهدى بالخلافة
وخلع المأمون ببغداد وكان سبب ذلك ماذكرناه من انكار الناس لولاية الحسن
ابن سهل والبيعة لعلى بن موسى فأظهر العباسيون ببغداد أنهم قد كانوا بايعوا
لابراهيم بن المهدى وفى سنة اثنتين ومائتين بايع أهل بغداد ابراهيم بن
المهدى بالخلافة ولقبوه المبارك وكانت بيعته أول يوم من المحرم وقيل خامسه
وخلعوا المأمون وبايعه سائر بنى هاشم فكان المتولى لأخذ البيعة المطلب بن
عبد الله بن مالك وكان الذى سعى فى هذا الأمر السندى وصالحا صاحب المصلى
ونصيرا الوصيف وغيرهم غضبا على المأمون حين أراد اخراج الخلافة من ولد
العباس ولتركه لباس آبائه من السواد فلما فرغ من البيعة وعد الجند رزق ستة
أشهر ودافعهم بها فشغبوا عليه فأعطاهم لكل رجل مائتى درهم وكتب لبعضهم
الى السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيرا فخرجوا فى قبضها فانتهبوا الجميع وأخذوا
نصيب السلطان وأهل السواد واستولى ابراهيم على الكوفة والسواد جميعه
وعسكر بالمدائن واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى
الهادى وعلى الجانب الشرقى منها اسحق بن موسى الهادى * ودخلت سنة
ثلاث ومائتين فمات بها الامام على بن موسى الرضا عليه السلام وكان سبب
موته أنه أكل عنبا فأكثر منه فمات فجأة وذلك فى آخر صفر وكان موته بمدينة
طوس فصلى المأمون عليه ودفنه عند قبر أبيه الرشيد وكان المأمون لما قدمها
قد أقام عند قبر أبيه وقيل ان المأمون سمه فى عنب وكان على يحب العنب فلما

توفى كتب المأمون الى الحسن بن سهل يعلمه موت على وما دخل عليه من المصيبة
بموته وكتب الى أهل بغداد وبنى العباس والموالى يعلمهم موته وانهم انما نقموا
ببيعته وقدمات ويسألهم الدخول فى طاعته فكتبوا اليه أغلظ جواب ﴿أما
سيدنا الامام على الرضا﴾ فهو ابن الامام موسى الكاظم عليهما السلام وأمه أم ولد
تسمى خيزران المريسية ولد بالمدينة يوم الجمعة ويقال يوم الخميس لاحدى عشرة
ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثمان وأربعين ومائة عاش خمسا وخمسين سنة منها
مع أبيه موسى بن جعفر خمسا وثلاثين سنة ولم يعاصر جده الصادق وكان مدة
امامته عشرين سنة وفى أيام امامته بقية ملك الرشيد ثم محمد الأمين ثم ملك
عبد الله المأمون أما مناقبه فكثيرة لا تحصى جعله الخليفة المأمون ولى عهده
وأقامه خليفة من بعده وكان فى حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك وخافوا خروج
الخلافة من بنى العباس وعودها الى بنى فاطمة فحصل عندهم من الرضا عليه
السلام نفور عظيم وكان من عادة الرضا اذا جاء الى دار الخليفة المأمون ليدخل
عليه تبادر من بالدهليز من الحاشية الى السلام عليه ورفع الستر بين يديه ليدخل
فلما حصلت النفرة عنه تواصوا فيما بينهم وقالوا اذا جاء ليدخل على الخليفة
فأعرضوا عنه ولا ترفعوا له الستر فاتفقوا على ذلك فبيناهم قعود اذ جاءهم الرضا
عليه السلام على عادته فلم يملكوا أنفسهم أن سلموا عليه ورفعوا له الستر فلما
دخل عليه السلام لاموا أنفسهم وقالوا النوبة الآتية اذا جاء لا نرفعه له فلما كان
فى ذلك اليوم جاء فقاموا وسلموا عليه ووقفوا ولم يبتدروا الى رفع الستر فأرسل
الله تعالى ريحا شديدة دخلت فى الستر رفعته أكثر ما كانوا يرفعونه فدخل عليه
السلام وسكنت الريح وعاد الستر الى ما كان عليه فلما خرج عادت الريح فرفعت
له الستر حتى خرج ثم سكنت فلما ذهب أقبل بعضهم على بعض وقالوا هل رأيتم

قالوانعم فقال بعضهم لبعض ياقوم هذا له عند الله منزلة وله به عناية ألم تروا أنكم لما أعرضتم عن رفع الستر أرسل الله الريح وسخرها له كما سخرها لسليمان عليه السلام فارجعوا الى خدمته فهو خير لكم فعادوا الى ما كانوا عليه وزاد اعتقادهم به عليه السلام ومنها قصة زينب الكذابة والقائها فى بركة السباع ومنها قصة دعبل بن على الخزاعى لما قال (مدارس آيات) ومفاخره عليه السلام أكثر من أن تحصى غير أن هذا المكان لا يحتمل زيادة على هذا توفى الرضا عليه السلام يوم الاثنين لثلاث ليال بقين من صفر سنة ثلاث ومائتين من الهجرة وقيل فى شهر رمضان وقيل فى ذى القعدة سنة اثنتين وثلاثين ومائتين والاول اصح وقضى عليه السلام مسموما ثم دفن فى دار حميد بن قحطبة الطائى فى قرية يقال لها سناباذ بأرض طوس عند قبر الرشيد سلام الله عليه وعلى آبائه الطيبين الطاهرين

﴿عود﴾ وفى سنة ست ومائتين ولى المأمون عبد الله بن طاهر من الرقة الى مصر وأمره بحرب نصر بن شيث وكان سبب ذلك أن يحيى بن معاذ الذى كان المأمون ولاه الجزيرة مات فى هذه السنة واستخلف ابنه أحمد فاستعمل المأمون عبد الله مكانه فلما أراد توليته احضره وقال له يا عبد الله أستخير الله تعالى منذ شهر وأكثر وأرجو أن يكون قد خار لى ورأيت الرجل يصف ابنه لرأيه فيه ورأيتك فوق ما قال أبوك وقد مات يحيى واستخلف ابنه وليس بشئ وقد رأيت توليتك مصر ومحاربة نصر بن شيث فقال السمع والطاعة وأرجو ان يجعل الله لأمير المؤمنين الخيرة وللمسلمين فعقد له وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين وقيل سبع ومائتين ولما سار استخلف على الشرطة اسحق بن ابراهيم بن الحسين بن مصعب وهو ابن عمه ولما استعمله المأمون كتب اليه أبوه طاهر كتابا جمع فيه كل ما يحتاج اليه الأمراء من الآداب والسياسة وغير ذلك

وقد أثبت منه أحسنه لما فيه من الآداب والحث على مكارم الاخلاق ومحاسن
الشيم لانه لا يستغنى عنه أحد من ملك وسوقة وهو ﴿بسم الله الرحمن الرحيم
أما بعد فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له وخشيته ومراقبته عز وجل
ومزايلة سخطه وحفظ رعيتك فى الليل والنهار والزم ما ألبسك من العافية
بالذكر لمعادك وما أنت صائر اليه وموقوف عليه ومسؤل عنه والعمل فى ذلك
كله بما يعصمك الله عز وجل وينجيك يوم القيامة من عقابه وأليم عذابه فان
الله سبحانه وتعالى قد أحسن اليك وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم
من عباده وألزمك العدل فيهم والقيام بحقه وحدوده عليهم والذب عنهم
والدفع عن حريمهم وبيضهم والحقن لدمائهم والامن لسبيلهم وادخال الراحة
عليهم ومؤاخذك بما فرض عليك وموقفك عليه ومسائلك عنه ومثيبك
عليه بما قدمت وأخرت ففرغ لذلك فهمك وعقلك ونظرك ولا يشغلك عنه
شاغل فانه رأس أمرك وملاك شأنك وأول ما يوفقك الله عز وجل به لرشدك
وليكن أول ما تلزم نفسك وتنسب اليه أفعالك المواظبة على ما افترض الله عز
وجل عليك من الصلوات الخمس والجماعة عليها بالناس فأت بها فى مواقيتها على
سننها وفى أسباغ الوضوء لها وافتتاح ذكر الله عز وجل وترتل فى قراءتك وتمكن
فى ركوعك وسجودك وتشهدك وليصدق فيه رأيك ونيتك واحضض عليها
جماعة من معك وتحت يدك وادأب عليها فانها كما قال الله عز وجل ان الصلاة
تنهى عن الفحشاء والمنكر ثم أتبع ذلك بالاخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والمثابرة على خلافته واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده واذا ورد عليك أمر
فاستعن عليه باستخارة الله عز وجل وتقواه ولزوم ما أنزل الله عز وجل فى كتابه
من أمره ونهيه وحلاله وحرامه وائتمام ما جاءت به الآثار عن رسول الله صلى

الله عليه وسلم ثم قم فيه بحق الله عزوجل عليك ولا تملّ من العدل فيما أحببت أوكرهت لقريب من الناس أو بعيد وآثر الفقه وأهله والدين وحملته وكتاب الله عزوجل والعاملين به فان أفضل ما تزين به المرء الفقه فى الدين والطلب له والحث عليه والمعرفة بما يتقرب به الى الله عزوجل فانه الدليل على الخير كله والقائد له والآمر به والناهى عن المعاصى الموبقات كلها ومع توفيق الله عزوجل يزداد العبد معرفة لله عزوجل واجلالا له وذكرا الدرجات العلى فى المعاد مع ما فى اظهاره للناس من التوقير لأمرك والهيبة لسلطانك والانس بك والثقة بعدلك وعليك بالاقتصاد فى الامور كلها فليس شئ أبين نفعا ولا أخص أمنا ولا اجمع فضلا منه والقصد داعية الى الرشد والرشد دليل على التوفيق والتوفيق قائد الى السعادة وقوام الدين والسنن الهادية للاقتصاد فآثره فى دنياك كلها ولا تقصر فى طلب الآخرة والأجر والأعمال الصالحة والسنن المعروفة ومعالم الرشد ولا غاية للاستكثار فى البر والسعى له اذ كان يطلب به وجه الله تعالى ومرضاته ومرافقة أوليائه فى دار كرامته واعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز ويحصن من الذنوب وأنه لن تحوط لنفسك ومن يليك ولا تستصلح أمورك بافضل منه فأته واهتد به تتم أمورك وتزد مقدرتك وتصلح خاصتك وعامتك وأحسن الظن بالله عزوجل تستقم لك رعيتك والتمس الوسيلة اليه فى الأمور كلها تستدم به النعمة عليك ولا تتهمن أحدا من الناس فيما توليه من عملك قبل أن تكشف أمره فان ايقاع التهم بالبرداء والظنون السيئة بهم مأثم فاجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك واطرد عنك سوء الظن بهم وارفضه فيهم يعنك ذلك على اصطناعهم ورياضتهم ولا يجدن عدوّ الله الشيطان فى أمرك مغمزا فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك ويدخل عليك من

الغم في سوء الظن ما ينغص لذاذة عيشك واعلم أنك تجد بحسن الظن قوة وراحة وتكتفي به ما أحببت كفايته من أمورك وتدعو به الناس الى محبتك والاستقامة في الأمور كلها لك ولا يمنعك حسن الظن بأصحابك والرأفة برعيتك أن تستعمل المسئلة والبحث عن أمورك ولتكن المباشرة لأمور الأولياء والحياطة للرعية والنظر فيما يقيمها ويصلحها والنظر في حوائجهم وحمل مؤناتهم آثر عندك مما سوى ذلك فأنه أقوم للدين وأحيا للسنة وأخلص نيتك في جميع هذا وتفرد لتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسؤل عما صنع ومجزي بما أحسن ومأخوذ بما أساء فان الله عز وجل جعل الدين حرزا وعزا ورفع من اتبعه وعززه فاسلك بمن تسوسه وترعاه نهج الدين وطريقة الهدى وأقم حدود الله عز وجل في أصحاب الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ولا تعطل ذلك ولا تهاون به ولا تؤخر عقوبة أهل العقوبة فان في تفريطك في ذلك ما يفسد عليك حسن ظنك واعتزم على أمرك في ذلك بالسنن المعروفة وجانب البدع والشبهات يسلم لك دينك وتقم لك مروأتك واذا عاهدت عهدا فف به واذا وعدت خيرا فأنجزه واقبل الحسنة وادفع بها وأغمض عن عيب كل ذي عيب من رعيتك واشدد لسانك عن قول الكذب والزور وأبغض أهله وأقص أهل النميمة فأن أول فساد أمورك في عاجلها وآجلها تقريب الكذوب والجراءة على الكذب لأن الكذب رأس المآثم والزور والنميمة خاتمتها لأن النميمة لا يسلم صاحبها وقائلها ولا يسلم له صاحب ولا يستتم لمطيعها أمر وأحب أهل الصلاح والصدق وأعن الأشراف بالحق وآس الضعفاء وصل الرحم وابتغ بذلك وجه الله تعالى واعزاز أمره والتمس فيه ثوابه والدار الآخرة واجتنب سوء الأهواء والجور واصرف عنهما رأيك وأظهر برأيك في ذلك رعيتك وأنعم

بالعدل سياستهم وقم بالحق فيهم وبالمعرفة التى تنتهى بك الى سبيل الهدى واملك
نفسك عند الغضب وآثر الوقار والحلم واياك والحدة والطيرة والغرور فيما أنت
بسبيله واياك أن تقول أنا مسلط أفعل ما أشاء فان ذلك سريع الى نقص الرأى
وقلة اليقين بالله عز وجل وأخلص لله وحده لا شريك له النية فيه واليقين
به واعلم أن الملك لله سبحانه وتعالى يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء ولن تجد
تغير النعمة وحلول النقمة الى أحد أسرع منه الى حملة النعمة من أصحاب السلطان
والمبسوط لهم فى الدولة اذا كفروا نعم الله عز وجل واحسانه واستطالوا بما آتاهم
الله عز وجل من فضله ودع عنك شره نفسك ولتكن ذخائرك وكنوزك التى
تذخر وتكثر البر والتقوى والمعدلة واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم والتفقد
لامورهم والحفظ لدمائهم والاغاثة لملهوفهم واعلم ان الأموال اذا كثرت
وذخرت فى الخزائن لا تنمو واذا كانت فى صلاح الرعية واعطاء حقوقهم وكف
مؤنة عنهم سمت وزكت ونمت وصلحت به العامة وتزينت به الولاية وطاب به
الزمان واعتقد فيه العز والمنعة فليكن كنز خزائنك تفريق الأموال فى عمارة
الاسلام وأهله ووفر منه على أولياء أمير المؤمنين قبلك حقوقهم وأوف رعيتك
من ذلك حصصهم وتعهد ما يصلح أمورهم ومعاشهم فانك اذا فعلت ذلك قرت
النعمة عليك واستوجبت المزيد من الله عز وجل وكنت بذلك على جباية خراجك
وجمع أموال رعيتك وعملك أقدر وكان الجميع لما شملهم من عدلك واحسانك
أسلس لطاعتك وأطيب نفسا بكل ما أردت واجهد نفسك فيما حددت لك فى
هذا الباب ولتعظم حسنتك فيه وانما يبقى من المال ما أنفق فى سبيل الله
واعرف للشاكرين شكرهم وأثبهم عليه واياك أن تنسيك الدنيا وغرورها هول
الآخرة فتتهاون بما يحق عليك فان التهاون يورث التفريط والتفريط يورث

البوار

البوار وليكن عملك لله عزوجل وارج الثواب فيه فان الله سبحانه قد أسبغ
عليك نعمته وأسبل لديك فضله واعتصم بالشكر وعليه فاعتمد يزدك الله خيرا
واحسانا فان الله عزوجل يثيب بقدر شكر الشاكرين وسيرة المحسنين ولا
تحقرن ذنبا ولا تمالئن حاسدا ولا ترحمن فاجرا ولا تصلن كفورا ولا تداهنن عدوا
ولا تصدقن نماما ولا تأمنن غدارا ولا توالين فاسقا ولا تبتغين غاويا ولا تحمدن
مرائيا ولا تحقرن انسانا ولا تردن سائلا فقيرا ولا تحسنن باطلا ولا تلاحظن
مضحكا ولا تخلفن وعدا ولا ترهقن فجرا ولا تركبن سفها ولا تظهرن غضبا ولا
تأمن مدحا ولا تمشين مرحا ولا تفرطن فى طلب الآخرة ولا تدفع الأيام عتابا
ولا تغمضن عن ظالم رهبة منه أو محاباة ولا تطلبن ثواب الآخرة فى الدنيا وأكثر
مشاورة الفقهاء واستعمل نفسك بالحلم وخذ عن أهل التجارب وذوى العقل
والرأى والحكمة ولا تدخلن فى مشورتك أهل الذمة والبخل ولا تسمعن لهم
قولا فان ضررهم أكثر من منفعتهم وليس شئ أسرع فسادا لما استقبلت فيه
أمر رعيتك من الشح واعلم أنك اذا كنت حريصا كنت كثير الاخذ قليل العطية
واذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك الا قليلا فان رعيتك انما تعقد على
محبتك بالكف عن أموالهم وترك الجور عليهم وابتدئ من صفا لك من أوليائك
بالافضال عليهم وحسن العطية لهم واجتنب الشح واعلم انه أول ما عصى
الانسان به ربه وأن العاصى بمنزلة خزى وتدبر قول الله عزوجل ومن يوق شح
نفسه فأولئك هم المفلحون واجعل للمسلمين كلهم من سيبك حظا ونصيبا وأيقن
ان الجود من أفضل أعمال العباد فاعدده لنفسك خلقا وسهل طريق الجود
بالحق وارض به عملا ومذهبا وتفقد أمور الجند فى دواوينهم ومكاتبهم وأدرر
عليهم أرزاقهم ووسع عليهم فى معايشهم يذهب الله عزوجل بذلك فاقتهم فيقوى

قوله ولا تدفع الخ هكذا فى الاصل ولعله ولا تدفع الأيام عتابا أو لعله ولا تدفع ... الخ اه

لك أمرهم وتزيد به قلوبهم فى طاعتك فى أمرك خلوصا وانشراحا وحسب ذى السلطان من السعادة ان يكون على جنده ورعيته رحمة فى عدله وحيطته وانصافه وعنايته وشفقته وبره وتوسيعه فزايل مكروه أحد البابين باستشعار فضيلة الباب الآخر ولزوم العمل به تلق ان شاء الله تعالى نجاحا وصلاحا وفلاحا (واعلم) أن القضاء بالعدل من الله تعالى بالمكان الذى ليس يعدل به شئ من الامور لانه ميزان الله الذى يعتدل عليه أحوال الناس فى الارض وباقامة العدل فى القضاء والعمل تصلح أحوال الرعية وتأمن السبل وينتصف المظلوم ويأخذ الناس حقوقهم وتحسن المعيشة ويؤدى حق الطاعة ويرزق الله العافية والسلامة ويقوم الدين وتجرى السنن والشرائع على مجاريها واشتدّ فى أمر الله عزوجل وتورّع عن القصف وامض لاقامة الحدود وأقلل العجلة وابعد عن الضجر والقلق واقنع بالقسم وانتفع بتجربتك وانتبه فى صمتك وسدّد فى منطقك وأنصف الخصم وقف عند الشبهة وابلغ فى الحجة ولا يأخذك فى أحد من رعيتك محاباة ولا محاماة ولا لوم لائم وتثبت وتأنّ وراقب وانصر الحق على نفسك فتدبر وتفكر واعتبر وتواضع لربك وارأف بجميع الرعية فتسلط الحق على نفسك ولا تسرعن الى سفك دم فان الدماء من الله عزوجل بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقها وانظر هذا الخراج الذى استقامت عليه الرعية وجعله الله للاسلام عزا ورفعة ولاهله توسعة ومنعة ولعدوّه وعدوهم كبتا وغيظا ولاهل الكفر من معانديهم ذلا وصغارا فوزعه بين اصحابك بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ولا ترفعن منه شيأ عن شريف لشرفه ولا عن غنىّ لغناه ولا عن كاتب ولا عن احد من خاصتك وحاشيتك ولا تأخذن منه فوق الاحتمال له ولا تكلف أمرا فيه شطط واحمل الناس كلهم على أمر الحق فان ذلك أجمع

لأ لفتهم وألزم لرضا العامة واعلم أنك جعلت بولايتك خازنا وحافظا وراعيا وانما سمى أهل عملك رعيتك لانك راعيهم وقيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم ومقدرتهم وتنفذه فى قوام أمرهم وصلاحهم وتقويم أودهم فاستعمل عليهم ذوى الرأى والتدبير والتجربة والخبرة بالعمل والعلم بالسياسة والعفاف ووسع عليهم فى الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمة لك فيما تقلدت وأسند اليك ولا يشغلك عنه شاغل ولا يصرفك عنه صارف فانك متى آثرته وقمت فيه بالواجب استدعيت به زيادة النعمة من ربك وحسن الأحدوثة فى عملك وأحرزت به المحبة من رعيتك وأعنت على الصلاح وقدرت الخيرات فى بلدك وفشت العمارة بناحيتك وظهر الخصب فى كورك وكثر خراجك وتوفرت أموالك وقويت بذلك على ارتباط جندك وارضاء العامة بافاضة العطاء فيهم من نفسك وكنت محمود السياسة مرضى العدل فى ذلك عند عدوك وكنت فى أمورك كلها ذا عدل وآلة وقوة وعدة فنافس فى ذلك ولا تقدم عليه شيأ تحمد فيه مغبة أمرك ان شاء الله تعالى واجعل فى كل كورة من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك ويكتب اليك بسيرتهم وأعمالهم حتى كأنك مع كل عامل فى عمله معاين لأموره كلها فان أردت أن تأمرهم بأمر فانظر فى عواقب ما أردت من ذلك فان رأيت السلامة فيه والعافية ورجوت فيه حسن الدفاع والصنع وأمضه والا فتوقف عنه وراجع أهل البصيرة والعلم به ثم خذ فيه عدته فانه ربما نظر الرجل فى أمر من أموره قد واتاه على ما يهوى فأغواه ذلك وأعجبه فان لم ينظر فى عواقبه أهلكه ونقض عليه أمره فاستعمل الحزم فى كل ما أردت وباشره بعد عون الله عز وجل بالقوة وأكثر فى استخارة ربك فى جميع أمورك وافرغ من عمل يومك ولا تؤخره لغدك وأكثر مباشرته بنفسك فان لغد أمورا وحوادث

تلهيك عن عمل يومك الذى أخرت واعلم أن اليوم اذا مضى ذهب بما فيه واذا
اخرت عمله اجتمع عليك أمور يومين فيشغلك ذلك حتى تعرض عنه واذا أمضيت
لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك وأحكمت أمور سلطانك وانظر أحرار الناس
وذوى السن منهم ممن تستيقن صفاء طويتهم وشهدت مودتهم لك ومظاهرتهم
بالنصح والمخالصة على امرك فاستخلصهم وأحسن اليهم وتعاهد أهل البيوتات
ممن قد دخلت عليهم الحاجة فاحتمل مؤنتهم وأصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم
مسا وأفرد نفسك بالنظر فى أمور الفقراء والمساكين ومن لا يقدر على رفع
مظلمة اليك والمحتقر الذى لا علم له بطلب حقه فسل عنه أخفى مسئلة ووكل
بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك ومرهم برفع حوائجهم وحالاتهم اليك لتنظر
فيها بما يصلح الله به أمرهم وتعاهد ذوى البأساء وأيتامهم وأراملهم واجعل
لهم أرزاقا من بيت المال اقتداء بأمير المؤمنين أعزه الله فى العطف عليهم والصلة
لهم ليصلح الله بذلك عيشهم ويرزقك به بركة وزيادة وأجر للأضراب من بيت
المال وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره فى الجرائد على غيرهم وانصب
لمرضى المسلمين دورا تؤويهم وقواما يرفقون بهم وأطباء يعالجون أسقامهم
وأسعفهم بشهواتهم مالم يؤد ذلك الى سرف فى بيت المال (وأعلم) أن الناس
اذا أعطوا حقوقهم وفضل أمانيهم لم يرضهم ذلك ولم تطب أنفسهم دون رفع
حوائجهم الى ولاتهم طمعا فى نيل الزيادة وفضل الرفق منهم وربما تبرم المتصفح
لأمور الناس لكثرة مايرد عليه ويشغل فكره وذهنه فليله عما يناله به من مؤنة
ومشقة وليس من يرغب فى العدل ويعرف محاسن أموره فى العاجل وفضل
ثواب الآجل كالذى يستثقل بما يقربه الى الله تعالى ويلتمس رحمته وأكثر
الاذن للناس عليك وأبرز لهم وجهك وسكن لهم حواسك واخفض لهم

جناحك

بجناحك وأظهر لهم بشرك ولن لهم فى المسئلة والمنطق واعطف عليهم بجودك
وفضلك واذا أعطيت فأعط بسماحة وطيب نفس والتماس للصنيعة والأجر
من غير تكدير ولا امتنان فان العطية على ذلك تجارة مربحة ان شاء الله تعالى
واعتبر بما ترى من أمور الدنيا ومن مضى قبلك من أهل السلطان والرياسة
فى القرون الخالية والأمم البائدة ثم اعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله والوقوف
عند محبته والعمل بشريعته وسنته واقامة دينه وكتابه واجتنب ما فارق
ذلك وخالف مادعا الى سخط الله عزوجل واعرف ما تجمع عمالك من الاموال
وينفقون منها ولا تجمع حراما ولا تنفق اسرافا وأكثر مجالسة العلماء
ومشاورتهم ومخالطتهم وليكن هواك اتباع السنن واقامتها وايثار مكارم الامور
ومعاليها وليكن أكرم دخلائك وخاصتك عليك من اذا رأى عيبا فيك لم تمنعه
هيبتك عن انهاء ذلك اليك فى سرك واعلامك وما فيه من النقص فان اولئك أنصح
اوليائك والمظاهرين لك وانظر عمالك الذين بحضرتك وكتابك فوقت لكل رجل
منهم فى كل يوم وقتا يدخل فيه عليك بكتبه ومؤامرته وما عنده من حوائج عمالك
وامور كورك ورعيتك ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك
وعقلك وكرر النظر فيه والتدبر له فما كان موافقا للحق والحزم فأمضه واستخر الله
عزوجل فيه وما كان مخالفا لذلك فاصرفه الى التثبت فيه والمسئلة عنه ولا تمتن
على رعيتك ولا غيرهم بمعروف تؤتيه اليهم ولا تقبل من أحد منهم الا الوفاء
والاستقامة والعون فى أمور أمير المؤمنين ولا تضعن المعروف الا على ذلك
وتفهم كتابى اليك وأكثر النظر فيه والعمل به واستعن بالله على جميع أمورك
واستخره فان الله عزوجل مع الصلاح وأهله وليكن اعظم سيرتك وأفضل
عيشك ما كان فيه لله عز وجل رضا ولدينه نظاما ولأهله عزا وتمكينا وللذمة

والملة عدلا وصلاحا وأنا أسأل الله ان يحسن عونك وتوفيقك ورشدك
وكلاءتك والسلام فلما رآى الناس هذا الكتاب تنازعوه وكتبوه وشاع أمره
وبلغ المأمون خبره فدعا به فقرئ عليه فقال ما أبقى أبو الطيب يعنى طاهرا شيأ
من أمر الدنيا والدين والتدبير والرأى والسياسة واصلاح الملك والرعية
وحفظ السلطان وطاعة الخلفاء وتقويم الخلافة الا وقد أحكمه واوصى به وامر
المأمون فكتب به الى جميع العمال فى النواحى فسار عبد الله الى عمله فاتبع
ما أمر به وعهد اليه وسار بسيرته

❁ وفى سنة عشر ومائتين ظفر المأمون بابراهيم بن المهدى أخذ اليه وهو منتقب مع
امرأتين وهو فى زى امرأة أخذه حارس أسود ليلا فقال من اين أنتن وأين
تردن هذا الوقت فأعطاه ابراهيم خاتم ياقوت كان فى يده له قدر عظيم ليخليهن ولا
يسألهن فلما نظر الحارس الى الخاتم استرابهن وقال خاتم رجل له شأن ورفعهن
الى صاحب المسلحة فأمرهن أن يسفرن فامتنع ابراهيم فجذبه فبدت لحيته
فدفعه الى صاحب الجسر فعرفه فذهب به الى باب المأمون وأعلمه به فأمر
بالاحتفاظ به الى بكرة فلما كان الغد أقعد ابراهيم فى دار المأمون والمقنعة التى
تقنع بها فى عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم والناس ويعلموا كيف أخذ
ثم حوله الى أحمد بن أبى خالد فحبسه عنده ثم أخرجه معه لما سار فى الصلح الى
الحسن بن سهل فشفع فيه الحسن وقيل ابنته بوران وقيل ان ابراهيم لما
أخذ حمل الى دار أبى اسحق المعتصم وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديفا
لفرج التركى فلما دخل على المأمون قال هيه يا ابراهيم فقال يا أمير المؤمنين ولى
الثار محكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناوله الاغترار بما مد له من
أسباب الشقاء أمكن عادية الدهر من نفسه وقد جعلك الله فوق كل ذى ذنب

كما

كما جعل كل ذى ذنب دونك فان تعاقب فبحقك وأن تعف فبفضلك قال بل أعفو يا ابراهيم فكبر وسجد وقيل بل كتب ابراهيم هذا الكلام الى المأمون وهو مستخف فوقع المأمون فى رقعته القدرة تذهب الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل وهو اكبر ما يسأله فقال ابراهيم يمدح المأمون

يا خير من رفلت يمانية به * بعد النبي لآيس أو طامع
وابر من عبد الاله على التقى * غيبا وأقوله بحق صادع
عسل الفوارع ما أطعت فان تهج * فالصاب يمزج بالسمام الناقع
متيقظا حذرا وما تخشى العدى * نبهان من وسنان ليل الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة * وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع
بأبى وأمى فدية وأبيهما * من كل معضلة وذنب واقع
ما ألين الكنف الذى بوأتنى * وطنا وامرع ربعه للراتع
للصالحات أخا جعلت وللتقى * وأبا رؤفا للفقير القانع
نفسى فداؤك اذ تضل معاذرى * وألوذ منك بفضل حلم واسع
أملا لفضلك والفواضل شيمة * رفعت بناءك للمحل اليافع
فبذلت أفضل ما يضيق ببذله * وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
الا العلو عن العقوبة بعدما * ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحمت أطفالا كأفراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع
وعطفت آمرة على كما وهى * بعد انهياض الوهى عظم الظالع
الله يعلم ما أقول كأنها * جهد الأَلية من حنيف راكع
ما ان عصيتك والغواة تقودنى * أسبابها الا بنية طائع

حتى اذا علقت حبائل شقوتى * بردى الى حفر المهالك هائع
لم ادر أن لمثل جرمى غافرا * فوقفت انظر أى حتف صارعى
ردّ الحياة علىّ بعد ذهابها * ورع الامام القادر المتواضع
أحياك من ولاك أفضل مدّة * و رمى عدوّك فى الوتين بقاطع
كم من يد لك لم تحدثنى بها * نفسى اذا آلت الىّ مطامعى
أسديتها عفوا الىّ هنيئة * وشكرت مصطنعا لأكرم صانع
الا يسيرا عند ما أوليتنى * وهو الكبير لدىّ غير الضائع
ان أنت جدت بها علىّ تكن لها * أهلا وان تمنع فأكرم مانع
ان الذى قسم الخلافة حازها * من صلب آدم للامام السابع
جمع القلوب عليك جامع أمرها * وحوى رداؤك كل خير جامع

فذكر أن المأمون قال حين انشده هذه القصيدة أقول كما قال يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ۞ وفى السنة المذكورة التى ظفر بها المأمون بابراهيم بن المهدى بنى ببوران ابنة الحسن بن سهل فى رمضان وكان المأمون سار من بغداد الى فم الصلح الى معسكر الحسن بن سهل فنزله وزفت اليه بوران فلما دخل اليها المأمون كان عندها حمدونة بنت الرشيد وأم جعفر زبيدة أم الأمين وجدتها أم الفضل والحسن بن سهل فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون فأمر المأمون بجمعه فجمع فأعطاه بوران وقال سلى حوائجك فامسكت فقالت جدتها سلى سيدك فقد أمرك فسألته الرضا عن ابراهيم بن المهدى فقال قد فعلت وسألته الاذن لام جعفر فى الحج فأذن لها وألبستها أم جعفر البدلة اللؤلؤية الاموية وابتنى بها فى ليلته وأوقد فى تلك الليلة شمعة عنبر فيها أربعون منا وأقام المأمون عند

الحسن سبعة عشر يوما يعدّ له كل يوم ولجميع من معه ما يحتاج اليه وخلع الحسن على القوّاد على مراتبهم وحملهم ووصلهم وكان مبلغ ما لزمه خمسين ألف ألف درهم وكتب الحسن اسماء ضياعه فى رقاع ونثرها على القواد فمن وقعت بيده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلمها ۞ وفى أوائل السنة العاشرة بعد المائتين توفى ولى الله الامام ابراهيم المرتضى ابن الامام موسى الكاظم عليه السلام ببغداد لقبه المجاب وأمه أم ولد اسمها نجيبة استولى على اليمن وامتدت حكومته الى الساحل وآخر القرن الشرقى من اليمن وحج بالناس فى عهد المأمون ولما انتصب خطيبا فى الحرم الشريف دعا للمأمون ولولى عهده الامام على الرضا ابن الكاظم عليهما السلام مات مسموما ببغداد وقد قدم بغداد بعهود وثيق من المأمون ولكن الله يفعل ما يشاء وقد انشد حين لحده ابن السماك الفقيه

مات الامام المرتضى مسموما * وطوى الزمان فضائلا وعلوما
قد مات فى الزوراء مظلوما كما * أضحى أبوه بكربلا مظلوما
فالشمس تندب موته مصفرّة * والبدر يلطم وجهه مغموما

كان أحد ائمة أهل البيت وكانوا يلقبونه الهادى الى الله ۞ وفى سنة ثمان عشرة ومائتين مرض المأمون مرضه الذى مات فيه ۞ قال ۞ سعد القارى دعانى المأمون يوما فوجدته جالسا على جانب البذندون والمعتصم عن يمينه وهما قد دليا أرجلهما فى الماء فأمرنى ان أضع رجلى فى الماء وقال ذقه فهل رأيت أعذب منه أو أصفى صفاء أو اشد بردا ففعلت وقلت يا أمير المؤمنين ما رأيت مثله قط فقال أى شئ يطيب أن يؤكل ويشرب عليه هذا الماء فقلت أمير المؤمنين أعلم فقال الرطب الازاذ فبينما هو يقول اذ سمع وقع لجم البريد فالتفت فاذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الالطاف فقال لخادم انظر ان كان فى هذه الالطاف رطب ازاذ

فأتت به فضى وعاد ومعه سلتان فيهما ازاذ كأنما جنى تلك الساعة فأظهر شكر الله وتعجبنا جميعا وأوا كلنا وشربنا من ذلك الماء فما قام منا أحد الا وهو محموم وكانت منية المأمون من تلك العلة ولم يزل المعتصم مريضا حتى دخل العراق وبقيت أنا مريضا مدة فلما مرض المأمون أمر ان يكتب الى البلاد الكتب من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه الخليفة من بعده أبي اسحق بن هرون الرشيد وأوصى الى المعتصم بحضرة ابنه العباس وبحضرة الفقهاء والقضاة والقواد وكانت وصيته بعد الشهادة والاقرار بالوحدانية والبعث والجنة والنار والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والانبياء انى مقر مذنب أرجو وأخاف الا أني اذا ذكرت عفو الله رجوت واذا مت فوجهوني وغمضوني وأسبغوا وضوئي وطهوري وأجيدوا كفني ثم أكثروا حمد الله على الاسلام ومعرفة حقه عليكم في محمد صلى الله عليه وسلم اذ جعلنا من أمته المرحومة ثم أضجعوني على سريري ثم عجلوا بي وليصل علي أقربكم نسبا وأكبركم سنا وليكبر خمسا ثم احملوني وابلغوا بي حفرتي ولينزل بي أقربكم قرابة وأودكم محبة وأكثروا من حمد الله وذكره ثم ضعوني على شق الايمن واستقبلوا بي القبلة ثم حلوا كفني عن رأسي ورجلي ثم سدوا اللحد واخرجوا عني وخلوني وعملي فكلكم لا يغني عني شيئا ولا يدفع عني مكروها ثم قفوا بأجمعكم فقولوا خيرا ان علمتم وأمسكوا عن ذكر شر ان كنتم عرفتم فاني مأخوذ من بينكم بما تقولون ولا تدعوا باكية عندي فان المعول عليه يعذب رحم الله عبدا اتعظ وفكر فيما حتم الله على خلقه من الفناء وقضى عليهم من الموت الذي لا بد منه فالحمد لله الذي توحد بالبقاء وقضى على جميع خلقه الفناء لينظر ما كنت فيه من عز الخلافة هل أغنى عني ذلك شيئا اذ جاء أمر الله لا والله ولكن أضعف علي به الحساب فياليت عبد الله بن

هرون لم يكن بشرا بل ليته لم يكن خلقا يا أبا اسحق ادن منى واتعظ بما ترى وخذ بسيرة أخيك فى القرآن والاسلام واعمل فى الخلافة اذا طوقكها الله عمل المريد لله الخائف من عقابه وعذابه ولا تغتر بالله ومهلته وكأن قد نزل بك الموت ولا تغفل أمر الرعية والعوام فان الملك بهم وبتعهدك لهم الله الله فيهم وفى غيرهم من المسلمين ولا ينتهين اليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة الا قدمته وآثرته على غيره من هواك وخذ من أقويائهم لضعفائهم ولا تحمل عليهم فى شئ وأنصف بعضهم من بعض بالحق بينهم وقربهم وتأن بهم وعجل الرحلة عنى والقدوم الى دار ملكك بالعراق وانظر هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم فى كل وقت والخربية فأغزهم ذا حزمة وصداقة وجلد واكنفه بالاموال والجنود فان طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك أنصارك وأوليائك واعمل فى ذلك عمل مقدم النية فيه راجيا ثواب الله عليه ثم دعا المعتصم بعد ساعة حين اشتد الوجع وأحس بمجئ أمر الله فقال يا أبا اسحق عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله فى عباده ولتؤثرن طاعة الله على معصيته اذ أنا نقلتها من غيرك اليك قال اللهم نعم قال هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين على صلوات الله عليه فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم ولا تغفل صلاتهم فى كل سنة عند محلها فان حقوقهم تجب من وجوه شتى اتقوا الله ربكم حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون اتقوا الله واعملوا له اتقوا الله فى أموركم كلها أستودعكم الله ونفسى وأستغفر الله ما سلف منى انه كان غفارا فانه ليعلم كيف ندمى على ذنوبى فعليه توكلت من عظيمها واليه أنيب ولا قوة الا بالله حسبى الله ونعم الوكيل وصلى الله على محمد نبى الهدى والرحمة توفى المأمون لاثنتى عشرة ليلة بقيت من رجب رحمه الله

﴿ خلافة أخيه المعتصم ﴾

هو أبو اسحق محمد بن الرشيد هرون بويع بالخلافة لما توفى أخوه المأمون بعهد من أخيه وهو أول من أضيف الى اسمه اسم الله وكان المعتصم طيب الاخلاق كريما مهيبا الا أنه كان اذا غضب لا يبالى من قتل ولا ما فعل وكان على مذهب أخيه المأمون فى القول بخلق القرآن وعاقب على ذلك جماعة من الائمة وجلد أحمد بن حنبل حتى تقطع جلده وغاب عقله وقيده وحبسه ﴿ ويحكى ﴾ انه كان يوما فى مجلس شرابه فبلغه ان امرأة هاشمية لطمها بعض نصارى عمورية فصاحت وامعتصماه فقال لها النصرانى ما يجيئك الا على أبلق فختم المعتصم الكأس التى كانت بيده وحلف لا يشربها حتى يفك المرأة من الاسر ويأخذ بثارها ونادى فى عسكره أن يتجهزوا ويجتهدوا فى ركوب الخيل البلق فيقال انه توجه الى عمورية فى سبعين ألف أبلق ونزل على عمورية وحاصرها ولم يزل حتى فتحها بالسيف وأخربها وأحرقها وأحضر تلك الهاشمية وقال لها لبيك لبيك وأحضر تلك الكأس التى ختمها فشربها وفى ذلك يقول أبو تمام من قصيدة

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظرى من خدها الترب
سماجة غنيت عنها العيون بها * عن كل حسن بدا أو منظر عجب
وحسن منقلب تبقى عواقبه * جاءت بشاشته عن سوء منقلب

وانفرد المعتصم عن أصحابه فى يوم مطير فبينا هو يسير اذ رأى شيخا معه حمار وعليه حمل شوك وقد توحل الحمار ووقع الحمل والرجل واقف ينتظر من يمر عليه فيساعده فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار ورفع معه الحمل عليه فلحقه أصحابه فأمر لصاحب الحمار بأربعة آلاف درهم وقال ابن أبى دواد تصدق

المعتصم ووهب على يدى مائة ألف ألف درهم وفى أيام المعتصم سنة ست وعشرين ومائتين أمطرت أهل تيماء بردا كالبيض هدمت بيوتا كثيرة وقتلت خلقا عظيما وسمع صوت قائل يقول ارحم عبادك ورأوا أثر قدم طوله ذراع ونصف من غير الاصابع وعرضه شبران وبين خطوتيه سبعة أذرع فتبعوا الصوت فجعلوا يسمعونه ويرون أثره ولا يرون شخصه ❁ ومات المعتصم فى ربيع الاول سنة سبع وعشرين ومائتين وكان يسمى المثمن لانه كان ثامن الخلفاء أو الثامن من ولد العباس وكانت خلافته ثمان سنين وثمانية أشهر وثمانية أيام وخلف من الاولاد ثمان بنين وثمان بنات وخلف ثمانية آلاف ألف دينار وثمانية آلاف ألف درهم وثمانية آلاف غلام وثمانية آلاف دابة وفيه يقول دعبل

ملوك بنى العباس فى الكتب سبعة * ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف فى الكهف سبعة * كرام اذا عدوا وثامنهم كلب
وانى لأزهى كلبهم عنك رغبة * لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم * وصيف واشناس وقد عظم الخطب
وانى لأرجو أن ترى من مغيبها * مطالع شمس قد يغص بها الشرب
وهمك تركى عليه مهانة * فأنت له أم وأنت له أب

ولما مات المعتصم رثاه وزيره محمد بن عبد الملك وجمع فى رثائه بين الرثاء للمعتصم والتهنئة لابنه الخليفة بعده هرون الواثق فقال

قد قلت اذ غيبوك واصطفقت * عليك أيد بالترب والطين
اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا ونعم الظهير للدين
ما يجبر الله أمة فقدت * مثلك الا بمثل هرون

﴿خلافة الواثق﴾

اسمه هرون بن محمد المعتصم بويع بالخلافة لما مات أبوه المعتصم بعهد من أبيه وكان ملكا كريما الا أنه كان مولعا بالغناء وكان على مذهب أبيه وعمه فى القول بخلق القرآن وامتحان الناس به وعاقب على ذلك جماعة غير انه كان يبالغ فى اكرام العلويين واحترامهم ومحبة آل على واكرامهم هو من الناجين ان شاء الله تعالى

سفينة النجاة آل فاطمه * تروى بهم نار الكروب الحاطمه
من عمر الله بهم فؤاده * فقد أتته البركات الدائمه

وكان الواثق أديبا فاضلا ظريفا وكان يسمى المأمون الاصغر وحج سنة ففرق فى أهل الحرمين أموالا عظيمة حتى لم يبق بالحرمين فقير ومات الواثق فى ذى الحجة سنة اثنتين وثلاثين بالاستسقاء وعمره اثنتان وثلاثون سنة وخلافته خمس سنين وتسعة أشهر ونصف وكان عند احتضاره يردد هذين البيتين

الموت فيه جميع الخلق مشترك * لا سوقة منهم يبقى ولا ملك
ماضر أهل قليل فى تفارقهم * وليس يغنى عن الاملاك ما ملكوا

ولما مرض أحضر المنجمين فنظروا فى مولده فحكموا له أنه يعيش خمسين سنة أخرى مستأنفة من ذلك اليوم فلم يعش بعد ذلك الا عشرة أيام وهذه الواقعة تشبه واقعة المنجمين ببغداد فى بعض السنين فانهم حكموا فى تلك السنة أن البحار تمتد وان العيون تفيض والمطر يكثر حتى يغرق مدنا كثيرة فانقطعت العيون فى تلك السنة ونقصت الانهار وتوقفت الامطار حتى استسقى الناس ببغداد مرارا كثيرة

خلافة المتوكل

هو جعفر بن محمد المعتصم أخو الواثق بويع بالخلافة لما مات أخوه الواثق وكان جامعا لجميع الاخلاق الحسنة وخالف أهل بيته فى القول بخلق القرآن ورجع عن ذلك ورد الناس الى السنة ولم يكن فيه ما يعاب به الا بغضه لعلى بن أبى طالب عليه السلام وذريته وأمر بهدم قبر الحسين السبط وأهل بيته فهدمت كلها وفى ذلك يقول الشاعر

تالله ان كانت أمية قد أتت * فى قتل إبن نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه مثله * هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا * فى قتله فتتبعوه رميما

وقتل على ذلك يعقوب بن اسحق المعروف بابن السكيت وذلك أنه قال له يوما أيما أحب اليك ولداى المغيرة والمؤيد أم الحسن والحسين فقال والله ان قنبرا خادم على خير منك ومن أولادك فقال سلوا لسانه من قفاه فسلوا لسانه من قفاه ومات من ساعته ❁ وذكر له ليلة ان عند الامام على الزكى عليه السلام كتبا وسلاحا فأرسل المتوكل جماعة من الترك فهجموا عليه ليلا على غفلة فوجدوه فى بيت مغلق وعليه مدرعة من شعر وهو مستقبل القبلة وهو يترنم بهذه الآية أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون فحمل الى المتوكل على تلك الحال فلما رآه المتوكل أعظمه وأجلسه الى جانبه وكان فى مجلس شرابه وعرض عليه الكاس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمى ودمى قط فأعفنى منه فأعفاه وقال له أنشدنى شعرا فقال انى لقليل الرواية للشعر فقال لا بد من ذلك فأنشده

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم * غلب الرجال فما أغنتهم القلل

واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم * وأودعوا حفرا يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعد ما قبروا * أين الاسرة والتيجان والحلل
أين الوجوه التي كانت منعمة * من دونها تضرب الأستار والكلل
فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم * تلك الوجوه عليها الدود يقتتل
قد طالما أكلوا دهرا وما شربوا * فأصبحوا بعد ذاك الاكل قد أكلوا

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال يا أبا الحسن أعليك دين فقال أربعة آلاف دينار فدفعها اله المتوكل ورده الى بيته مكرما ۞ وفي أيام المتوكل ظهر شخص يقال له محمود بن فرج وزعم أنه ذو القرنين المذكور في القرآن وادعى النبوة وتبعه سبعة وعشرون رجلا فأمسك وأحضر هو وأصحابه الى المتوكل فأمر المتوكل أصحابه بصفعه عشر صفعات كل واحد فصفعه كل منهم عشر صفعات ثم ضرب حتى مات ۞ وفي أيام المتوكل سنة أربع وثمانين كانت زلزلة عظيمة باذربيجان أقامت سبعة أيام حتى دكت الاقاليم دكا وهلك تحت الردم عالم عظيم وذهبت لهم أموال جمة ثم بعد ذلك في سنة اثنتين وأربعين ومائتين جاءت زلزلة عظيمة أعظم من الاولى بالري وجرجان ونيسابور واصفهان وقم وقاشان ودامغان حتى خربت مدنا عظيمة وقتلت خلقا كثيرا وسقط نصف دامغان على أهلها وجاء طائر أبيض دون الرخمة وفوق الغراب فقعد على موضع عال بحلب وصاح بصوت عال فصيح يا معاشر الناس اتقوا الله الله الله حتى صاح أربعين صوتا ثم طار ثم عاد في اليوم الثاني ففعل مثل ذلك ثم طار ثم عاد في اليوم الثالث وفعل مثل ذلك ثم طار ولم يعد ۞ وفي هذه السنة وصل الخبر من القيروان انه سقط من السماء حجارة فوزن بعضها فكان عشرة ارطال وحمل من ذلك حجر الى مصر والى تنيس حجر قال أبو عبد الله بن حمدون كنت مع المتوكل لما خرج

الى دمشق فركب يوما الى رصافة هشام بن عبد الملك فنظر الى قصورها والى منتزهاتها واذا دير هناك قديم حسن البناء بين مزارع وأنهار وحدائق وأشجار فدخله فبينا هو يطوف فيه اذ رأى رقعة قد ألصقت فى صدر الدير فأمر بقلعها فقلعت فاذا فيها مكتوب

أيا منزلا بالدير أصبح خاليا * يلاعب فيه شمأل ودبور
كأنك لم يسكنك بيض أوانس * ولم يتبختر فى قبابك حور
وأبناء أملاك غياشم سادة * صغيرهم عند الانام كبير
اذا لبسوا أدراعهم فأساود * وان لبسوا تيجانهم فبدور
على أنهم يوم اللقاء ضراغم * وأنهم يوم النوال بحور
ليالى هشام بالرصافة قاطن * وفيك ابنه يادير وهو أمير
اذا العيش غض والخلافة لذة * وأنت ربيع والزمان غرير
وروضك مرتاد ونورك مزهر * وعيش بنى مروان فيك نضير
بلى فسقاك الغيث صوب سحائب * عليك بها بعد الرواح بكور
تذكرت قومى فيكم فبكيتهم * بشجو ومثلى بالبكا جدير
وعزيت نفسى وهى نفس اذا جرى * لها ذكر قومى أنة وزفير
لعل زمانا جار يوما عليهم * لهم بادى تهوى النفوس يدور
فيفرح محزون وينعم بائس * ويطلق من بعد الوثاق أسير
رويدك ان اليوم يتبعه غد * وان صروف الدائرت تدور

فلما قرأها المتوكل تطير وقال أعوذ بالله من شر أقداره ثم سأل صاحب الدير عن كاتبها فقال لا علم لى بها ﷺ وقتل المتوكل فى مجلس شرابه قتلته مماليكه الأتراك باتفاق مع ابنه المنتصر وكان معه وزيره الفتح بن خاقان وذلك فى شوال سنة سبع

واربعين ومائتين وعمره أربعون سنة وخلافته أربع عشرة سنة وعشرة أشهر وفى ذلك يقول البحترى

هكذا فلتكن منايا الكرام * بين ماء ومزهر ومدام
بين كاسين أورثاه جميعا * كأس لذاته وكاس الحمام
لم يذل نفسه رسول المنايا * بصنوف الاوجاع والأسقام
هابه معلنا فدب اليه * فى كسور الدجا بحد الحسام

ولما مات الفتح بن خاقان قال البحترى يرثيهما

مضى جعفر والفتح بين موسد * وبين قتيل بالدماء مضرج
أأطلب أنصارا على الدهر بعدما * ثوى منهم فى الترب أوسى وخزرجى

وكانت أم المتوكل قد ماتت قبله فوجد لها خمسة آلاف ألف دينار وجواهر قيمتها ألف ألف دينار وأوان وفرش قيمتها ألف الف دينار وأربع عشرة ضيعة غلتها اربعة عشر ألف دينار فى كل سنة والمتوكل هو الذى قتل محمد بن عبد الملك الزيات وزيره

۞وفى عهده مات الامام أحمد بن حنبل رحمه الله (بيان) هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن ادريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن واسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب ابن على بن بكر بن وائل بن واسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان الشيبانى المروزى الاصل هذا هو الصحيح فى نسبه ۞ولد رضى الله عنه سنة أربع وستين ومائة فى شهر ربيع الاول ببغداد ونشأ بها كان امام المحدثين صنف كتابه المسند وجمع فيه من الحديث مالم يتفق لغيره قيل وكان يحفظ ألف ألف حديث وكان من أصحاب الامام الشافعى

وخواصه رضي الله عنهما وكان شيخا أسمر مديد القامة يخضب بالحناء وكان لا يدع قيام الليل قط وله في كل يوم وليلة ختمة وكان يسر ذلك عن الناس وكان يلبس الثياب النقية البياض ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه وكان ورده كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة فلما ضرب بالسياط ضعف بدنه فكان يصلي مائة وخمسين ركعة كل يوم وليلة وحج خمس حجات ثلاثا منها ماشيا ولما قدم للسياط أيام المحنة أغاثه الله تعالى برجل يقال له أبو الهيثم العيار فوقف عنده وقال يا أحمد أنا فلان اللص ضربت ثمانية عشر ألف سوط لأقر فما أقررت وأنا أعرف أني على الباطل فاحذر أن تقلق وأنت على الحق من حرارة السوط فكان أحمد كلما أوجعه الضرب تذكر كلام اللص ﴿قال الفضيل﴾ حبس الامام أحمد ثمانية وعشرين شهرا وكان فيها يضرب كل قليل بالسياط الى أن يغمى عليه وينخس بالسيف ثم يرمى على الارض ويداس عليه ولم يزل كذلك الى ان مات المعتصم وتولى بعده الواثق فاشتد الامر على أحمد وقال لا أسكن في بلد أحد فيه فأقام مختفيا لا يخرج الى صلاة ولا غيرها حتى مات الواثق وولي المتوكل فرفع المحنة عن أحمد وأمر باحضاره واكرامه واعزازه وكتب الى الآفاق برفع المحنة واظهار السنة وان القرآن غير مخلوق وخمدت المعتزلة ﴿قال ابن غسان﴾ ولما حملت مع أحمد الى المأمون تلقاه الخادم وهو يبكي ويمسح دموعه ويقول عز علي يا أبا عبد الله ما نزل بك قد جرد أمير المؤمنين سيفا لم يجرده قط وبسط نطعا لم يبسطه قط ثم قال وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم لا رفعت السيف عن أحمد وصاحبه حتى يقولا القرآن مخلوق فجثا أحمد على ركبتيه ولحظ السماء بعينيه ودعا فما مضى الثلث الاول من الليل الا ونحن بصيحة وضجة فأقبل علينا خادمه وهو يقول صدقت يا أحمد القرآن كلام الله غير مخلوق قد مات والله أمير

المؤمنين ﴿قال عبد الله بن أحمد بن حنبل كان أبي ذات يوم جالسا عند الشافعي فمر بهما شيبان الراعي وعليه مدرعة صوف فقال أحمد للشافعي يا أبا عبد الله ألا أنبه هذا الجاهل على جهله فقال له الشافعي لا تفعل دعه في شأنه فقال أحمد لا بد ثم انه استحضر شيبان وقال له يا شيبان ما تقول في رجل نسي صلاة من يوم لا يدري أي صلاة هي ما الواجب عليه أن يفعل فقال شيبان يا أحمد هذا رجل غفل قلبه عن الله فهو ساه غافل الواجب عليه أن يؤدب حتى لا يرجع الى مثلها أبدا ثم بعد ذلك يقضي صلاة اليوم أجمع ثم التفت اليهما وقال هل تقدران أن تردا علي قال فصاح أحمد وقال لا والله بل هذا هو الحق ثم تركهما وانصرف (قال ادريس الحداد) لما دخل أحمد بن حنبل مكة للحج عسر عليه بعض حوائجه فأخذ سطلا كان معه فدفعه الى بعض البقالين رهنا على شيء كان يأخذه فلما فتح الله عليه بفكاكه حضر عند ذلك البقال فدفع له ما كان له وطلب السطل فقام البقال وأحضر سطلين على هيئة واحدة وقال له قد اشتبه علي سطلك فخذ أيهما شئت فقال أحمد وأنا اشكل علي أيهما لي والله لا آخذنه فقال البقال وأنا لا اتركه أبدا فاتفقا على بيعه والتصدق به وروى ألف ألف حديث منها بالاسانيد والمتون مائة ألف وخمسون ألفا توفي رضي الله عنه سنة احدى وأربعين ومائتين وعاش سبعا وسبعين سنة ﴿عود﴾ حكي عن علي بن الجهم قال كنت عند المتوكل فتذاكروا عنده الجمال فقال ان حسن الشعر لمن الجمال ثم قال حدثني المعتصم حدثني المأمون حدثنا الرشيد حدثنا المهدي حدثنا المنصور عن أبيه عن جده عن ابن عباس قال كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم جمة الى شحمة اذنيه كأنها نظام اللؤلؤ وكان من أجمل الناس وكان أسمر رقيق اللون لا بالطويل ولا بالقصير وكان لعبد المطلب جمة الى شحمة اذنيه وكان

لهاشم

لهاشم جمة الى شحمة أذنيه قال على بن الجهم وكان للمتوكل جمة الى شحمة اذنيه وقال لنا المتوكل كان للمعتصم جمة وكذلك للمأمون والرشيد والمهدى والمنصور ولابيه محمد ولجده على ولابيه عبد الله بن عباس

﴿خلافة المنتصر هو محمد بن المتوكل﴾

بويع بالخلافة بعد قتل أبيه ولم يعش غير ستة أشهر قيل انه لما جلس للبيعة رأى تحته بساطا عليه شئ مكتوب بالذهب بغير العربية فأمر بقراءته فقرئ فاذا فيه هذا بساط شيرويه الذى قتل أباه ابرويز فلم يتمتع بالملك بعده غير ستة أشهر فتعجب الناس من ذلك وتطيروا منه وقبل موته بأيام انتبه مرعوبا وهو يبكى فأتته امه وقالت له ما أبكاك يا بنى لا أبكى الله لك عينا فقال لها اذهبى عنى ذهبت عنى الدنيا والآخرة رأيت الساعة أبى فى النوم وهو يقول لى ويحك يا محمد قتلتنى لاجل الخلافة والله لا تمتعت بها الا أياما يسيرة ثم مصيرك الى النار فلم يتمتع بالخلافة غير ستة أشهر ومات ولم يزل منكسر القلب الى أن مات وكان كثير الانصاف لآل على بن أبى طالب رضى الله عنه بخلاف أبيه يحكى أنه كان عند أبيه المتوكل رجل مخنث يقال له عبادة يتمسخر بعلى بن أبى طالب فيشد على بطنه شيئا ويدخل وهو يرقص ويقول قد جاء كم الأنزع البطين على خليفة المسلمين والمتوكل يضحك ففعل ذلك يوما بحضرة ولده المنتصر فقال يا أمير المؤمنين ان عليا ابن عمك ولحمك ودمك فان كان ولا بد فكل أنت لحمه ولا تدع هذا المخنث يأكل لحمه فضحك المتوكل وقال للمغنين غنوا

غار الفتى لابن عمه ∴ رأس الفتى فى حر أمه

(قلت) فذاق أبوه المتوكل وبال أمره وأخذه الله بسيف قهره وأما المنتصر

رحمه الله تعالى فقد كان وصولا للعلويين وقد أزال عنهم من الخوف والظلم والغدر ما كانوا فيه ورخص لهم بزيارة قبر الامام الحسين السبط عليه السلام وقد كانوا ممنوعين من زيارته ورد على آل الحسين فدك ومن ذلك قال المهلبي رحمه الله

ولقد بررت الطالبية بعدما * ذموا زمانا بعدها وزمانا
ورددت ألفة هاشم فرأيتهم * بعد العداوة بينهم اخوانا

(خلافة المستعين هو أحمد بن محمد بن المعتصم)

لما مات المنتصر كره كبراء الدولة أن يولوا أحدا من أولاد المتوكل لكونهم قتلوه وأحضروا أحمد بن محمد بن المعتصم وبايعوه ولقبوه المستعين ثم شغبت الترك عليه بعد مدة وحصروه في قصره بسامرا فهرب في حراقة وانحدر الى بغداد واستقر المعتز بسامرا واستولى على الاموال التي كانت للمستعين بسامرا ووجه المعتز أخاه الموفق طلحة في خمسين ألفا الى حرب المستعين واقتتلوا ثم اتفق كبراء الدولة على خلع المستعين فخلعوه وولوا المعتز وطلب المستعين أن يكون مقامه بمكة فمنع من ذلك وانحدر الى واسط موكلا به جماعة ثم قتل وحمل رأسه الى المعتز في سنة اثنتين وخمسين ومائتين واستقر المعتز وهو محمد بن المتوكل جعفر بن محمد المعتصم وأقام المعتز في الخلافة مدة يسيرة ثم اتفق كبراء الدولة وخلعوه وسبب ذلك ان الجند طلبت ارزاقها منه فلم يكن عنده ما يعطيهم فنزلوا معه الى خمسين ألف دينار فأرسل المعتز الى أمه قبيحة في ذلك فقالت ما عندي شئ فجاء الجند الى بابه وقالوا اخرج الينا فقال اني شربت دواء فليدخل بعضكم الي فدخل اليه جماعة فجروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وأقاموه في الشمس فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبقي بعضهم يلطمه على وجهه

وهو يتقي بيده وأدخلوه حجرة وأحضروا له ابن أبي الشوارب القاضي وأشهدوا عليه بخلع نفسه ثم سلموه الى من يعذبه ومنعوه الطعام والشراب ثلاثة أيام ثم أدخلوه سردابا وجصصوه عليه فمات فيه في رجب سنة خمس وخمسين ومائتين واختفت امه قبيحة أياما ثم ظهرت فأخذت أموالها فوجد لها مطمورة تحت الارض فيها ألف ألف دينار عينا ووجد لها سفط فيه مكوك ذمرذ وفي سفط آخر مكوك لؤلؤ وفي سفط آخر كيلجة ياقوت لا يوجد مثله عند ملك فحمل جميعه الى صالح بن وصيف فقال قبح الله قبيحة عرضت ابنها للقتل لاجل خمسين ألف دينار وعندها هذه الاموال العظيمة وكان المتوكل قد سماها قبيحة لحسنها وجمالها كما يسمى الاسود كافورا ثم سارت الى مكة فأقامت بها حتى ماتت

❁وفي عهد المعتز هذا مات السري السقطي قدس سره هو أبو الحسن السري ابن المغلس السقطي شيخ الطريقة أعز أصحاب الشيخ الكبير امام الخرقة أبي محفوظ معروف الكرخي رضي الله عنهما كان أعبد أهل الخرقة وأورعهم فما بالك بغيرهم وهو خال شيخ الشيوخ تاج العارفين أبي القاسم الجنيد البغدادي وكان الثقاة من أصحابه يذكرون أنه مكث ستين سنة لم يضع جنبه للنوم على الارض واذا غلبه النوم ينام في مجلسه منحنيا وله كلام رشيق في الحقيقة وهو أوّل من تكلم في علم التوحيد وأسراره على الناس ومن شعره

ولما ادّعيت الحب قالت كذبتني * فمالي أرى الاعضاء منك كواسيا

فلا حبّ حتى يلصق الجلد بالحشا .. وتذهل حتى لا تجيب المناديا

وكان رضي الله عنه مستجاب الدعوة وقد دعا للجنيد وهو صغير فبلغ ببركة دعائه من المجد والفتح والقبول ما بلغ وهو مشهور توفي ببغداد سنة احدى وخمسين ومائتين ومشهده يزار ويضرع به الى الله تعالى ومناقبه وكراماته

كثيرة واليه تنتهى أسانيد خرقة السادة الصوفية على الغالب

(خلافة المهتدى هو محمد بن الواثق)

بويع بالخلافة بعد خلع المعتز فاقام مدة يسيرة ثم خلعوه وداسوا خصييه وصفعوه حتى مات فى منتصف رجب سنة ست وخمسين ومائتين وكانت خلافته سنة

(خلافة المعتمد هو أحمد بن المتوكل جعفر)

بويع بالخلافة لما قتل المهتدى وكان فى الحبس قبل ذلك وفى ايامه سنة اثنتين وسبعين ومائتين كانت زلزلة عظيمة بالرى وأعمالها فخربت مدن كثيرة وقتل خلق عظيم ونبعت من الارض عين ماء على فرسخ من الرى لم تكن تعرف قبل ذلك

۞ وفى سنة ثمان وسبعين ومائتين كان ابتداء أمر القرامطة وذلك أن رجلا كان اسمه قرمط قد ظهر فى أيام المتوكل وادعى النبوة ودعا الناس الى طاعته فلم يزل يتبعه الناس قليلا قليلا حتى اشتدت شوكته وعظم أمره فى هذه السنة وكان مما دعا الناس اليه أنه جاءهم بكتاب فيه بسم الله الرحمن الرحيم يقول الفرج ابن عثمان وهو من قرية يقال لها نصرانة انه داعية المسيح وهو عيسى وهو الكلمة وهو المهدى وهو أحمد بن محمد بن الحنفية وهو جبريل وهو ميكائيل وان المسيح تصور فى جسم انسان وقال انك الداعية وانك الحجة وانك الكلمة وانك الناقة وانك الدابة وانك يحيى بن زكريا وانك روح القدس وانك أحمد ابن محمد بن الحنفية وعرفه ان الصلاة أربع ركعات ركعتان عند طلوع الشمس وركعتان عند غروبها وان الاذان فى كل صلاة أن يقول المؤذن الله أكبر ثلاث

مرات أشهد أن لا اله الا الله مرتين أشهد ان آدم رسول الله أشهد أن نوحا رسول الله أشهد ان ابراهيم رسول الله أشهد أن موسى رسول الله أشهد أن عيسى رسول الله أشهد أن محمدا رسول الله أشهد أن أحمد بن محمد بن الحنفيه رسول الله ومن شرائعهم أن القبلة الى بيت المقدس وان الجمعة يوم الاثنين لا يعمل فيها شيء وان النبيذ حرام وأن الخمر حلال وان الصيام يومان فى السنة وهما المهرجان والنوروز ولا غسل من جنابة بل الوضوء كوضوء الصلاة وان يؤكل كل ذى ناب ومخلب وأن يجامع الانسان من شاء من ذوى رحمه ولا بد للفاضل منهم ان ينكح المفضول وأن يقرأ فى صلاته الاستفتاح لا غير وهو المنزل على أحمد بن محمد بن الحنفية وهو الحمد لله بكلمته وتعالى باسمه المنجد لاوليائه بأوليائه قل ان الاهلة مواقيت للناس ظاهرها التعلم عدد السنين والحساب والشهور والايام وباطنها الأولياء الذين عرّفوا عبادى واسلكوا سبيلى واتقون يا أولى الالباب وانا الذى لا أسئل عما أفعل وأنا العليم الحكيم وأنا الذى أبلو عبادى وأمتحن خلقى فمن صبر على بلائى ومحنتى واختبارى أدخلته فى جنتى واخلدته فى نعمتى ومن زل عن أمرى وكذب رسلى أخلدته مهانا فى عذابى وأتممت أجلى وأظهرت أمرى على ألسنة رسلى وأنا الذى لم يعل جبار الا وضعته ولا عزيز الا أذللته وليس الذى أصرّ على أمره ودام على جهالته وقال لن نبرح عليه عاكفين وبه مؤمنين أولئك هم الكافرون ثم يركع

❁ ولم تزل شوكة القرامطة تشتد حتى حصروا دمشق فصالحهم أهل دمشق على مال يحملونه اليهم وانصرفوا عنهم ثم حاصروها ثانيا وملكوها بالسيف ثم ساروا الى حماه والمعرّة وتلك البلاد فقتلوا كل من فيها حتى النساء والاطفال وأخذوا أموالهم وعهد قرمط الى ابن عمه وسماه المدثر وزعم أنه المدثر المذكور فى القرآن

وأخافوا البلاد وقاوموا الخلفاء وقهروهم وجعلوا دارا قامتهم هجر من البحرين

﴿ ولما ولى المكتفى الخلافة بعث اليهم جيوشا عظيمة فالتقوا قريبا من حماه واقتتلوا فانهزمت القرامطة وأخذ قرمط وابن عمه أسيرا وحملوا الى بغداد فضربت أعناقهم وطيف برؤسهم المدينة ثم أقام القرامطة فيهم رئيسا أيضا يقال له زكرويه ثم عاودوا دمشق أيضا وحاصروها وفتحوها بالسيف ونهبوها وقتلوا أهلها ثم ساروا الى الكوفة فبعث اليهم المكتفى خمسين ألف مقاتل والتقوا فانهزمت جيوش الخليفة ونهبت القرامطة جميع أموالهم وأثقالهم فتقووا بها ثم ساروا الى العراق وأخذوا الحجاج العراقية وقتلوهم عن آخرهم وأخذوا منهم أموالا عظيمة وكانت عدة القتلى من الحجاج عشرين ألفا ثم بعث اليهم المكتفى جيوشا عظيمة واقتتلوا فانهزمت القرامطة وأخذ زكرويه أسيرا بعد أن جرح جراحات كثيرة وأقام اياما ومات فأقاموا فيهم أيضا رجلا يقال له أبو سعيد الحسن بن بهرام فأقام فيهم مدة وقتله خادم له فى الحمام ثم خرج الى رئيس آخر وقال له الرئيس يستدعيك فى الحمام فلما جاء قتله أيضا ثم فعل ذلك بآخر وآخر حتى قتل أربعة أنفس ثم فطن له فأمسك وقتل فأقاموا فيهم رئيسا آخر يقال له أبو طاهر سليمان ولد أبى سعيد المذكور وأغاروا على البصرة فكبسوها ليلا وقتلوا عاملها وأقاموا سبعة عشر يوما يقتلون فى أهلها ويحملون منها الاموال ثم عاودوا الحجاج العراقيه فأخذوا أموالهم وتركوهم بلا زاد ولا راحلة حتى هلكوا كلهم بالجوع والعطش ثم عادوا الى الكوفة وكبسوها وأقاموا ستة أيام يقتلون فى أهلها ويحملون منها الاموال فسار اليهم أبو الساج من واسط بأربعين ألف مقاتل وكانت عدة القرامطة ألفا وخمسمائة رجل فلما رآهم أبو أبو الساج احتقرهم وقال صدروا الكتب للخليفة بالفتح فهؤلاء فى قبضتنا ثم

التقوا واقتتلوا فانهزم جيش أبي الساج وأخذ أبو الساج مقدم العسكر أسيرا فقتل وقتل أكثر العسكر واستولت القرامطة على أموالهم وأثقالهم ثم استولوا بعد ذلك على غالب البلاد الفراتية ﴿ ولما ولى المقتدر الخلافة بعث اليهم جيشا عدته خمسون ألف مقاتل والتقوا فانهزم عسكر الخليفة ورجع الى بغداد منهزما ووقع الخلل في بغداد خوفا من القرامطة ثم توجهوا الى مكة وكبسوا الحجاج يوم التروية وقتلوهم كلهم عن آخرهم حتى في المسجد الحرام وألقوا القتلى في بئر زمزم وقلعوا اباب البيت وقلعوا الحجر الاسود من الركن وحملوهما الى هجر وأقام الحجر الاسود عندهم من سنة سبع عشرة وثلاثمائة الى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة ثم عيد الى مكانه فكانت مدة اقامته عندهم اثنتين وعشرين سنة ثم قصدوا مصر وبها جوهر مملوك المعز في سنة ستين وثلاثمائة فالتقى بهم جوهر فانهزمت المغاربة أولا ثم تراجعوا والتقوا فانهزمت القرامطة وعادوا الى الشام منهزمين ولما دخل المعز القاهرة قصدوه وجرت بينهما حروب انهزمت فيها القرامطة وقتل منهم خلق كثير وفارقوا الشام وتوجهوا الى هجر فأقاموا بها ولم تقم لهم بعد ذلك قائمة ﴿ ومات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين ومائتين وذلك بان شرب على الشط ليلة وأكل كثيرا ونام فمات بالليل فجأة في التاريخ المذكور

﴿ خلافة المعتضد ﴾

لما مات المعتمد بويع بالخلافة المعتضد أحمد بن الموفق أبي طلحة بن المتوكل وكان شهما شجاعا عفيفا وتزوج ابنة خمارويه ابن أحمد بن طولون وأمهرها ألف ألف درهم وحملت اليه من مصر وأحبها حبا شديدا ويقال انه نام يوما ووضع

رأسه على وركها فشالت رأسه ووضعته على مخدة وتحت عنه فلما انتبه ولم يجدها اغتاظ غيظا شديدا ودعا بها وقال ما صلحت أن انام على حجرك فقالت ليس الامر كما توهمت يا أمير المؤمنين ولكن فيما أدبني مؤدبي أن قال لى لا تجلسي بين النائمين ولا تنامي بين الجلوس فزاد شغفه بها ﴿ ولما ولى المعتضد كتب الى الآفاق باباحة لعن معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد على المنابر فأقاموا يلعنونهم مدة ثم قيل له ان هذا فيه استطالة للعلويين لانهم كانوا كل قليل يخرجون على الخلفاء فأمسك عن ذلك ﴿ ومات المعتضد فى ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين ومائتين وكانت خلافته تسع سنين وتسعة أشهر ونصفا

﴿ خلافة المكتفى ﴾

لما مات المعتضد بويع ابنه أبو محمد على بالخلافة ولقب المكتفى وكان شهما شجاعا وكان فى أيامه فى سنة تسعين ومائتين بمصر غلاء عظيم حتى أكل الناس الميتة وهلك أكثر العالم ولم يبق الا القليل ومات المكتفى فى ذى الحجة سنة خمس وتسعين ومائتين وكانت خلافته ست سنين ونصفا وعمره ثلاث وثلاثون سنة

﴿ خلافة المقتدر ﴾

لما مات المكتفى بويع بالخلافة أبو الفضل جعفر بن المعتضد ولقب المقتدر وكان عمره حينئذ ثلاث عشرة سنة فأقام مدة يسيرة ثم خلعوه وبايعوا عبد الله بن المعتز ولقبوه الراضى وجرت بين أصحاب الفريقين حروب كثيرة آخرها ان عبد الله بن المعتز انهزم واختفى وتفرق أصحابه ثم أمسك وحبس ليلتين وخنق فمات وكانت خلافته يوما واحدا وقال أول ما ولى الخلافة قد آن للحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح وفيه يقول الشاعر

لله درك من ملك بضيعة * ناهيك في العلم والآداب والحسب
ما فيه لو ولا ليت فينقصه * وانما أدركته حرفة الأدب

ثم استقر في الخلافة المقتدر أبو الفضل المذكور * وفي أيامه سنة خمس وثلاثمائة قدمت رسل ملك الروم الى بغداد فلما استحضروا عبي لهم العسكر وصفت الدار بالاسلحة وأنواع الزينة وكانت جملة العسكر المصفوف حينئذ مائة ألف وستين ألفا ما بين راكب وواقف ووقف الغلمان الحجرية بالزينة والمناطق المحلاة وكانوا اثنين وعشرين ألفا ووقف الخدم والخصيان كذلك وكانوا سبعة آلاف خادم أربعة آلاف خادم أبيض وثلاثة آلاف خادم اسود ووقف الحجاب كذلك وكانوا سبعمائة حاجب وألقيت المراكب والدبادب في دجلة بأعظم زينة وزينت دار الخلافة وكانت جملة الستور المعلقة عليها ثمانية وثلاثين ألف ستر منها ديباج مذهب اثنا عشر ألف ستر وخمسمائة ستر وكانت جملة البسط اثنين وعشرين ألف بساط وكان هنالك مائة سبع مع مائة سباع وكان في جملة الزينة شجرة من ذهب وفضة تشتمل على ثمانية عشر غصنا وأوراق الشجرة من الذهب والفضة وأغصانها تتمايل بحركات موضوعة وعلى الاغصان طيور وعصافير مختلفة من الذهب والفضة تصفر بحركات مرتبة وشاهد الرسول من العظمة ما يطول شرحه

۞ وفي أيامه قتل الحسين الحلاج وذلك في سنة تسع وثلاثمائة وكان الحسين الحلاج يظهر التصوف والزهد ويظهر للناس كرامات خارقة فيظهر لهم فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء ويمد يده الى الهواء فيردها مملوءة دراهم عليها مكتوب قل هو الله أحد ويسميها دراهم القدرة ويتكلم بما في ضمائر الناس فافتتن به خلق كثير واعتقدوا فيه الحلول واختلفت فيه آراء الناس فمن

قائل انه مشعبذ ومن قائل انه صالح ومن قائل انه ساحر ومن قائل انه حل فيه جزء الهي * وحج الحلاج فأقام بمكة سنة لا يستظل تحت سقف وكان صائما الدهر ولا يفطر الا على ماء وثلاث عضات من قرص خشن ثم عاد الى بغداد فلما افتتن به الناس سأل وزير المقتدر المقتدر أن يسلمه له فسلمه فاعتقله أياما وهو يستحضره فى كل يوم بحضرة الفقهاء والقضاة ويستنطقه فلا يبدو منه ما يخالف الشرع والوزير مجد على سفك دمه الى أن اطلع له يوما على كتاب بخطه حكى فيه ان الانسان اذا أراد الحج ولم يمكنه أفرد فى بيته مكانا نظيفا طاهرا ولا يدخله أحد فاذا جاءت أيام الحج طاف حوله وفعل كما يفعل الحاج بمكة ويجمع ثلاثين يتيما ويطعمهم فى ذلك البيت أجود طعام يمكنه ويكسوهم ويعطى كل واحد منهم خمسة دراهم فيكتب له الحج وقال الوزير للحلاج من اين لك هذا قال من كتاب الاخلاص للحسن البصرى فقال له القاضى كذبت يا حلال الدم قد سمعناه بمكة وليس فيه شئ من هذا فسأله الوزير أن يكتب خطه بأنه حلال الدم فامتنع ثم ألح عليه فكتب خطه باباحة دمه فأحضر الحلاج فضرب ألف سوط ثم قطعت يده ثم رجله ثم يده الاخرى ثم رجله ثم قتل وأحرق بالنار وصلب رأسه ببغداد * قال بعضهم رأيت الشيخ حسينا الحلاج وقد سمع قارئا يقرأ فأخذه وجد فرأيته يرقص ورجلاه مرفوعتان عن الارض فاذا هو يقول

من أطلعوه على سر فباح به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وعاقبوه على ما كان من زلل * وأبدلوه مكان الانس ايحاشا

ودخلت عليه عندما حبس فقال لى ما يقول الناس قلت يقولون انهم يقتلونك فى غد فقال كذبوا ان يقدروا على ذلك الا بعد ثلاثة عشر يوما قال فقتل بعد ثلاثة عشر يوما وكان كما قال ورأيت دمه وقد جرى على الارض وكتب الله الله

ثلاثا

ثلاثا أو أربعا ﴿ وفى سنة ثلاث عشرة وثلاثمائة من أيام المقتدر ظهر كوكب عظيم كالقمر سواء أحمر اللون اذا رآه الرائى لا يشك انه قمر الا أنه كانت له ذؤابة طولها ثلاثون رمحا فأقام ثلاث ساعات وغاب وفى سنة ست عشرة وثلاثمائة بنى القرمطى دارا سماها دار الهجرة كان ذلك بالاحساء وكثر فساده وفتكه بالمسلمين وأخذه البلاد وكثرت اتباعه وبث الجيوش بالاقطار وتزلزل له الخليفة وانقطع الحج فى هذه السنين خشية من القرمطى وفى السنة المذكورة سير المقتدر الحاج مع منصور الديلمى فوصلوا الى مكة سالمين فوافاهم يوم التروية عدو الله أبو طاهر القرمطى فقتل الحجيج فى المسجد الحرام قتلا ذريعا وطرح القتلى فى بئر زمزم وضرب الحجر الاسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأقام بها أحد عشر يوما ثم رحلوا وبقى الحجر الاسود عندهم أكثر من عشرين سنة ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد فى خلافة المطيع ﴿ قال محمد ابن الربيع ﴿ كنت بمكة سنة القرامطة فصعد رجل لقلع الميزاب وأنا أراه فعيل صبرى وقلت يا رب ما أحلمك فسقط الرجل على دماغه فمات وصعد القرمطى على باب الكعبة وهو يقول

أنا بالله وبالله أنا * يخلق الخلق و يفنيهم أنا

ولم يرأ بو طاهر القرمطى بعد هذه الواقعة خيرا وتقطع جسده بالجدرى وقد راع فى تلك السنة أهل البلدتين الطاهرتين وأشراف الحرمين الشريفين وفرسادا تها وشرفاؤها وتفرقوا فى البلاد ﴿ وكان من جملة من خرج من مكة فى تلك السنة ولى الله الصالح العابد الشريف الكبير الحسن المكى و يعرف رفاعة بن المهدى ابن أبى القاسم محمد بن الحسين أبى موسى بن الحسين الرضى القطعى بن أحمد الصالح الاكبر بن موسى الثانى بن ابراهيم المرتضى الحسينى رضى الله عنه وعن

آبائه الطاهرين ولد بمكة عام ثمانين ومائتين ونشأ على الطاعة والتقوى ولبس الخرقة الطاهرة الكاظمية عن أبيه وأبوه يروى سند الخرقة عن آبائه الى الامام الحسين عليه السلام وهو عن أبيه أسد الله على أمير المؤمنين عن ابن عمه سيد المخلوقين صلى الله عليه وسلم وكان ممن اشتهر أمره وعلا قدره وعظمه اعلام الامة وكبراؤها الاجل الدين ولازال على قدم الزهد معتصما بالله منجمعا عن الناس حتى دخل القرامطة لعنهم الله مكة وفعلوا فى بيت الله الحرام مافعلوا من النهب والسلب والقتل والالحاد والظلم وادعوا فى ذلك امتثال أمر العبيديين جماعة الاندلس فذهب السيد رفاعة الى المغرب لاقامة الحجة على العبيديين فيما فعله القرامطة فدخل اشبيلية وعظمه ملوكها وانقاد اليه رجال المغرب ثم أقام ببادية أشبيلية مع جماعة من بنى شيبان وتزوج بامرأة من الاشراف الادريسية يقال لها نها بنت أحمد بن على بن عبد الله بن عمر بن ادريس الاصغر بن ادريس الاكبر ملك المغرب بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الامام الحسن السبط عليه السلام وبقى مكرما محفوظ الحرمة الى أن توفى باشبيلية عام احدى وثلاثين وثلاثمائة وأعقب من الشريفة نها سعدا وعمران وبركات وعليا وأعقابهم كلها فى المغرب غير على فأنه أعقب أحمد ورفاعة وكنانة وهزاعا وغالبا وذرية كلهم فى المغرب غير أحمد فانه أعقب حازما وحازم أعقب الثابت وعبد الله ومحمد عسلة فعبد الله سكن المدينة وله فيها عقب مبارك وثابت بقى فى المغرب وأعقب يحيى وعليا فعلى بقى نسله فى المغرب ويحيى هو جد السيد أحمد الرفاعى لابيه وهو الذى قدم البصرة مهاجرا من المغرب فى خلافة القائم وسيأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان رفاعة حسن الشعر رقيق الاسلوب ومن نظمه

تعلم الريح هزال غصن من قلقي * والطير ناح كنوحي يوم هجراني
والافق رش كدمعي السحب اذ همعت * ونار فارس شبت مثل نيراني

﴿عود﴾ وخلع المقتدر في سنة سبع عشرة وثلاثمائة وقيل حمل الى دار مؤنس مقدم الاتراك فاعتقل بها واحضروا أخاه محمد بن المعتضد وبايعوه ولقب القاهر ونهبت دار الخلافة ثم بعد ثلاثة أيام من خلع المقتدر بكر الناس الى دار الخلافة حتى امتلأت الرحاب وحضرت الرجال المصافية بالسلاح المشهور وصاحوا يا مقتدر يا منصور وهجموا على القاهر فهرب وتفرق الناس عنه ولم يبق بدار الخلافة أحد ثم قصدوا دار مؤنس فطلبوا المقتدر منه فأخرجه لهم فحملوه على رقابهم حتى أدخلوه دار الخلافة واستقر المقتدر في الخلافة وأرسل خلف أخيه القاهر فاحضره بالامان وأمنه وأحسن اليه وقال له يا أخي أنت مالك ذنب * وفي أيامه في هذه الولاية في سنة سبع عشرة وثلاثمائة ثارت فتنة عظيمة بين السنية والشيعة ببغداد دخل فيها الجند والعامة وقتل فيها خلق كثير وذلك بسبب تفسير قوله تعالى (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) قالت السنية هي الشفاعة وقالت الحنابلة هو أن يجلسه معه على العرش على يمينه فوقعت الفتنة بسبب ذلك ثم ان مونس مقدم الاتراك حصل بينه وبين المقتدر كلام فخرج من بغداد مغاضبا له وخرج المقتدر لقتاله وبين يديه الفقهاء والقراء ومعهم المصاحف منشورة ولما التقى الجمعان انهزمت أصحاب المقتدر ولحق المقتدر قوم من المغاربة فحملوا عليه فقال لهم أنا الخليفة فقالوا قد عرفناك يا سفلة أنت خليفة ابليس ثم ضربوه حتى سقط الى الارض فذبحوه وذلك في سنة عشرين وثلاثمائة وكانت خلافته خمسا وعشرين سنة الا عشرة أيام

﴿خلافة القاهر﴾

لما قتل المقتدر بويع بالخلافة القاهر وهو محمد بن المعتضد وفى أيامه سنة احدى وعشرين وثلاثمائة كانت بمصر زلازل عظيمة خربت أكثر البلاد وتساقطت كواكب كثيرة وأقام القاهر مديدة ثم خلعوه فى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وسملوا عينيه وكانت خلافته سنة ونصفا

﴿خلافة الراضى﴾

لما خلع القاهر وسمل بويع الراضى بالخلافة وهو أبو العباس أحمد بن المقتدر وفى أيامه عظم أمر الحنابلة ببغداد حتى صاروا يكبسون دور الامراء والقواد فان وجدوا نبيذا كسروه وان وجدوا قينة ضربوها وكسروا آلة الغناء ثم تعرضوا فى البيع والشراء ومشى الرجال مع النساء والصبيان ولقى الناس منهم بلاء عظيما وضعف أمر الخلافة واختل وفى تلك المدة تفرقت الممالك ولم يبق بيد الخليفة غير بغداد لا غير وفى أيامه سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ظهر الشلمغانى وهو رجل منسوب الى شلمغان وهى قرية من نواحى واسط وادعى النبوة وأحدث مذهبا مداره على حلول الالهية والتناسخ واتبعه على ذلك خلق كثير من جملتهم الحسين بن القاسم وزير المقتدر وابن جعفر الوزير وابن أبى عون الوزير فمن مذهبه ان الالهية حلت فى آدم وابليسه ثم افترقت ثم حلت فى نوح وابليسه ثم افترقت ثم حلت فى ابراهيم وابليسه نمروذ ثم افترقت وان الانسان يصلى بلا وضوء ويجامع من شاء من ذوى رحمه ولا بد للفاضل منهم أن ينكح المفضول والاقلب فى الدور الثانى امرأة اذ كان مذهبه التناسخ ويسمى موسى ومحمدا الخائنين لان هرون وعليا أرسلاهما فخاناهما وادعيا الرسالة لانفسهما

فامسك هو ورؤساء أصحابه وأحضروا بين يدي الراضي فانكر مذهبه فأمر الراضي أصحاب الشلمغاني بصفعه فصفعوه جميعهم وأما ابن ابي عون الوزير فانه مد يده ليصفعه فارتعدت يده فقبل لحيته وقال الهي وسيدي وخالقي ورازقي فقيل له ألم تقل انك لم تدع الالهية فقال ما ادعيتها قط وما على أنا من قول هؤلاء عني ثم صلب هو وأصحابه . ومات الراضي في ربيع الاول سنة تسع وعشرين وثلثمائة وعمره اثنتان وثلاثون سنة وخلافته ست سنين وهو آخر خليفة كان له شعر يدون وآخر خليفة خطب على منبر وآخر خليفة جالس الجلساء وآخر خليفة كانت نفقاته وجراياته ومطابخه على ترتيب الخلفاء ثم تبهدلت الخلافة بعد ذلك

﴿خلافة المتقي﴾

لما مات الراضي بويع المتقي بالخلافة وهو أبو اسحق ابراهيم بن المقتدر وكانت في أيامه زلازل عظيمة أقامت تعاود الناس ستة أشهر حتى خربت أكثر البلاد وانشق في الارض مواضع كثيرة ظهر منها ماء منتن شديد النتن وأقام المتقي مدينة ثم تحرك عليه البريدي فهرب المتقي الى الموصل واستولى البريدي على بغداد وأقام الخليفة عند ناصر الدولة بن حمدان مدينة ثم ساروا اياه الى بغداد لقتال البريدي فلما بلغ البريدي ذلك هرب من بغداد ونهب الناس في بغداد بعضهم بعضا وغلت بها الاسعار وعدم القوت ودخل المتقي الى بغداد ومعه بنو حمدان في جيوش كثيرة واستقر بها ناصر الدولة بن حمدان أمير الامراء مدينة ثم تحركت عليه توزون والاتراك فضاق صدر الخليفة لذلك فطلب سيف الدولة بن حمدان من الخليفة مالا لينفقه في الجيش حتى يقويه ويمنع الاتراك من بغداد فأعطاه الخليفة أربعمائة ألف دينار ففرقها سيف الدولة في أصحابه وهرب سيف الدولة

ودخل توزون بغداد وملكها واستقر بها أمير الامراء والمتقي خليفة ❁ وفي أيامه أرسل ملك الروم يطلب منه منديلا زعم ان المسيح مسح به وجهه فصارت صورة وجهه فيه وان هذا المنديل في كنيسة الرها فان أرسله أطلق له عددا كثيرا من أسرى المسلمين فأحضر المتقي الفقهاء واستفتاهم في ذلك فاختلفوا فقال بعضهم ادفعه اليهم واطلاق الاسرى أولى من منعه وقال بعضهم ان هذا المنديل لم يزل في بلاد الاسلام ففي دفعه اليهم غضاضة فقال علي بن عيسى الوزير خلاص المسلمين أولى وبعث بالمنديل اليهم وأطلقوا الاسرى ثم ان المتقي خاف من توزون فهرب من بغداد الى الموصل فأقام عند ناصر الدولة مديدة ثم ظهر له من ناصر الدولة ضجرة فكتب الى توزون يستحلفه ليقدم بغداد فحلف توزون للمتقي كما أراده فرجع المتقي الى بغداد وخرج توزون للقائه فقبض توزون على الخليفة وسمل عينيه فأعماه فصاح الخليفة وصاحت خدمه فأمر توزون بضرب الدبادب حتى لا يسمع صياحهم ورجع به الى بغداد وخلعه في سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة فكانت خلافته قريبا من سنة لا غير

❁ خلافة المستكفي ❁

ثم قبض توزون على المتقي وسمله أحضر أبا القاسم عبد الله بن المتقي بن المعتضد وبايعه بالخلافة وفي أيامه مات توزون واستولى معز الدولة بن بويه على بغداد ورتب معز الدولة للمستكفي في كل يوم خمسة آلاف درهم يتسلمها كاتبه لنفقاته وكانت دون كفايته وتهدمت الخلافة جدا حتى لم يبق لهم الا الاسم ثم بعد ذلك ... خلع المستكفي في جمادى الآخر سنة أربع وثلاثين وثلثمائة واعتقل ... ونهبت دار الخلافة حتى لم يبق بها قليل ولا كثير وصورة خلعه ... كان جالسا على سريره فدخل اليه رجلان ومدا أيديهما اليه فظن أنهما

يقبلان يده فمدّ يده اليهما جذباه عن سريره وجعلا عمامته فى عنقه وسحباه الى دار معز الدولة وتفرق الناس وكان الشريف الرضى حاضرا فقال

أصبحت أرحم من قد كنت أغبطه * لقد تقارب بين العز والهون
ومنزل كان بالسرّاء يضحكنى * يا قرب ما عاد بالضرّاء يبكينى

﴿خلافة المطيع﴾

لما خلع المستكفى بويع المطيع لله بالخلافة وهو الفضل بن المقتدر وازداد فى أيامه أمر الخلافة ادبارا حتى لم يبق لهم من الامر شئ قل ولا جل ۞ وفى أيامه سنة أربعين وثلثمائة كان بمصر زلازل عظيمة أقامت تعاودا الناس مدة حتى سكن الناس الصحارى وخسف بأماكن كثيرة فى الارض وأمطرت بغداد حصى زنة كل حصاة رطل فقتلت شيأ كثيرا من الناس والدواب والطير وانصرف حجاج مصر من الحج فنزلوا دوايا وباتوا فيه فأتاهم السيل ليلا فاحتملهم جميعهم بأثقالهم وأجمالهم وألقاهم فى البحر ثم بعد ذلك فى سنة أربعين خسف بمائة وخمسين قرية من أرض الطالقان وأرض الرى وصارت كلها نارا وانقطعت جبال ودكت دكا وعلقت قرية من قرى الرى بين السماء والارض من بكرة الى الظهر ثم خسف بها وبأهلها وطلع منها دخان عظيم وتقطعت الارض وطلع منها أيضا دخان عظيم وقذفت جميع ما فى بطنها حتى عظام الموتى من القبور هكذا ذكر ابن الجوزى فى تاريخه واتفق بعد ذلك فى سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة أن وقع حريق عظيم بمصر احترقت فيه قيسارية العسل وسوق الزياتين وألف وسبعمائة دار ونادى كافور من أتى بجرّة ماء فله درهم فكان جملة ما صرف على الماء أربعة عشر ألف درهم ۞ وفى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ظهر جراد عظيم وانتشر حتى ملأ المشرق والمغرب وأتى على جميع الزرع والنواكه فأكلها

حتى أكل ورق الاشجار ﴿ وفى سنة تسع وأربعين وثلثمائة أسلم من الاتراك نحو مائتى ألف خركاه وحضروا الى دار الاسلام بأهلهم وأولادهم وأموالهم ودوابهم ﴿ وفى سنة احدى وخمسين وثلثمائة حاصرت الروم حلب وفتحوا من السور ثلمة وهجموها بالسيف واستولوا عليها وبها سيف الدولة بن حمدان وبذلوا فيها السيف تسعة أيام وأخذت الروم من أهل حلب تسعة عشر ألف صبى وصبية وأخذوا من دار سيف الدولة ثلثمائة بدرة وهى ثلاثة آلاف ألف درهم وغنموا مالا يحصى كثرة ولما لم يبق معهم ظهر لحمل الغنائم أحرقوا جميع مابقى بعد ذلك ﴿ وفى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة أرسل بطارقة الارمن الى ناصر الدولة بن حمدان بالموصل رجلين ملتصقين عمرهما خمس وعشرون سنة وأبوهما معهما وكانا ملتصقين من تحت ابطيهما ولهما بطنان وسرتان وفرجان ومقعدتان وكل واحد منهما كامل الاطراف فأراد ناصر الدولة فصلهما فأحضر الاطباء وسألوهما هل تجوعان وتعطشان جميعا وتتغوطان جميعا فقالا نعم فقال الاطباء متى فصلناهما ماتا وذكر الاطباء انهما يختصمان فى بعض الاوقات ويقيمان مدة لا يتكلمان ثم يصطلحان ثم ان أحدهما مات وبقى الآخر بعده مدة ثم مات ﴿ وفى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة كان غلاء عظيم بمصر والشام والعراق وبلغ القدح الحنطة مبلغا لا يصدقه العقل حتى لم يبق من العالم الا القليل وفى أيام المطيع وصل المعز العلوى الديار المصرية وملكها ثم انهم خلعوا المطيع فى سنة ثلاث وسبعين وثلثمائة وكانت خلافته تسعا وعشرين سنة وخمسة اشهر

﴿ خلافة الطائع ﴾

لما خلع المطيع بويع الطائع وهو عبد الكريم بن المطيع الفضل بن المقتدر

ولما ولي بعث اليه صاحب اليمن بهدية جليلة فيها قطعة عنبر زنتها ستة وخمسون رطلا ۞ وفي أيامه سنة خمس وسبعين وثلثمائة خرج طائر من البحر بعمان في قدر الفيل فقعد على تل هنالك وصاح بأعلى صوته قد قرب ثلاث مرات ثم غاص في البحر ثم طلع في اليوم الثاني ففعل مثل ذلك ثم غاص في البحر ثم طلع في اليوم الثالث ففعل مثل ذلك ثم غاص في البحر فلم يعد يطلع بعد ذلك ۞ وفي سنة تسع وسبعين وثلاثمائة وقعت فتنة عظيمة بين الترك والديلم ببغداد ودام القتال بينهم اثني عشر يوما حتى قتل منهم خلق كثير وقبض على الطائع في سنة احدى وثمانين وثلثمائة وحمل الى دار بهاء الدولة فاعتقل بها ولم يزل معتقلا بها حتى توفي سنة ثلاث وتسعين وثلثمائة ولم يكن له من الحكم لا قليل ولا كثير

۞ خلافة القادر ۞

لما قبض على الطائع بويع أحمد بن الامين اسحق بن المقتدر وفي أيامه سنة ست وتسعين وثلثمائة غزا يمين الدولة محمود بن سبكتكين بلاد الهند وفتح الملتان وغنم من بلاد الهند أموالا عظيمة وأهدى الى القادر منها هدية جليلة منها صنم من ذهب زنته أربعمائة رطل ولعبة من الياقوت الاحمر زنتها ستون مثقالا تضيء كالقنديل لم ير أحد مثلها من الملوك ثم غزا أيضا بلاد الهند في سنة ست عشرة وأربعمائة وفتح مدينة الصنم الذي هو أعظم أصنام الهند وكان لهذا الصنم من الوقوف ما يزيد على عشرة آلاف قرية وقد اجتمع عنده من الجواهر والذهب والفضة ما لا يحصى كثرة فغنمها كلها وكسره وأخذ منه قطعة وحملها معه فجعلها عتبة لجامع غزنة ۞ وفي هذه السنة وقعت فتنة بين الاتراك والهاشميين ورفع الهاشميون المصاحف على الرماح ورفع الاتراك الصلبان على الرماح وقتل بين الفريقين خلق كثير ۞ وفي سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة كان غلاء عظيم

بالعراق حتى بلغ رطل الخبز أربعين درهما وهلك عالم عظيم لا يحصى * وفي سنة سبع وتسعين وثلاثمائة زادت دجلة زيادة عظيمة حتى بلغ الماء رؤس النخل وهرب الناس الى الجانب الغربي وأقام ذلك عشرين يوما وقيل في السنة التي قبلها ألقت الريح رجلا من يأجوج ومأجوج من فوق السد طوله ذراع وربع ولحيته شبران وأنفذوه الى الخليفه ببغداد وطافوا به المدينة ورآه الناس *وفي سنة أربع عشرة وأربعمائة انقض كوكب عظيم سمع له دوى عظيم كالرعد القاصف وجلت منه القلوب وأسقطت منه الحوامل * وفي سنة ثمان عشرة وأربعمائة أمطرت بالعراق بردا زنة البردة رطلان فقتلت خلقا كثيرا وتوفي القادر في ذي القعدة سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة وعمره ست وثمانون سنة وعشرة أشهر وخلافته احدى وأربعون سنة وشهر

خلافة القائم

لما مات القادر بويع ابنه القائم بالخلافة وهو أبو جعفر عبد الله بن القادر * وفي أيامه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة كان الغلاء العام الذي عم الأرض كلها شرقا وغربا من البحر الى البحر حتى لم يبق من الناس الا القليل * وفي سنة اثنتين وثلاثين وأربعمائة كانت زلازل عظيمة بالقيروان وبلاد أفريقية وخسف ببعض بلاد القيروان وطلع من الخسف دخان عظيم اتصل بالسماء وظهر ببغداد كوكب عظيم وقت العصر له ذؤابة وغلب نوره على نور الشمس وسار سيرا بطيئا ثم انقض ثم وقع بأرض جوجان قطعة حديد من الهواء زنتها مائة وخمسون منا فنشبت في الارض ثم نبت نبو الكرة ثم نشبت فأخذوها وحاولوا أن يقطعوا منها قطعة فلم يقدروا وكانت الآلات لا تعمل فيها شيئا وكل آلة استعملوها فيها انكسرت وبالجهد فصلوا منها قطعة وحملوها الى محمود بن سبكتكين فرام أن يطبع

منها سيفا فتعذر عليه ولم ينطبع وكان شبه الجاروس الملتئم بعضه ببعض ❁ وفى سنة أربع وثلاثين وأربعمائة كان بتوريز زلزلة عظيمة هدمت قلعتها وسورها وأكثر دورها وأحصى عدد من هلك تحت الردم فكان نيفا وخمسين ألفا وانفرج جبل عظيم بأرجان فظهر فى وسطه درجة مبنية بالآجر والجص ولبس أهلها المسوح لعظم هذه النازلة ووقع فى الخيل وباء عظيم فى سائر البلاد حتى فنى أكثرها ولم يبق الا القليل ❁ وفى سنة تسع وثلاثين وأربعمائة كان ببغداد غلاء عظيم حتى أكلت الناس الميتة وخلت الاسواق ❁ وفى سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة وقعت فتنة عظيمة ببغداد بين السنية والشيعة حتى عظم الامر وخلت الاسواق ❁ وفى سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة كانت أيضا فتنة عظيمة بين السنية والشيعة وعظم الامر وقتل خلق كثير بين الفريقين ووقع النهب فى بغداد والحريق وأحرق قبور آل البيت منهم قبر موسى بن جعفر وقبر زيد وقبور كثيرة من آل البيت وأحرقوا المدرسة الحنفية ودور الفقهاء ❁ وفى سنة خمس وأربعين وأربعمائة ظهر ناووس بمدينة حمص وفيه ميت وفى رأسه ضربة ويده على رأسه وكانوا اذا رفعوا يده عن رأسه قطر الدم واذا وضعوها على رأسه سكن الدم فقال المسلمون هو منا وقال النصارى هو منا ثم ظهر أنه كان من أصحاب عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فأخذه المسلمون ليدفنوه فسرقه النصارى ورموه فى العاصى * وفى سنة ثمان وأربعين وأربعمائة كان الغلاء العام العظيم الذى عم الارض كلها وكان أوله بمصر وبيع الرغيف ببغداد بدينار

❁ وفى سنة خمسين وأربعمائة قدم الى البصرة السيد يحيى بن ثابت بن حازم وهو على أبو الفوارس بن أحمد بن على بن الحسن رفاعة المكى نزيل بادية اشبيلية بالاندلس من المغرب الذى نزلها عام سبعة عشر وثلثمائة شاكيا للعبيديين من

القرامطة لما فعلوه تلك السنة من الالحاد والظلم ببيت الله الحرام (قال) ابن ميمون نظام الدين أبو الحرث الواسطي الحسيني النسابة في مشجره ان السيد يحيي المغربي المكي الحسيني أول قادم من عصابة بني رفاعة الحسينيين الى البصرة نزلها عام خمسين وأربعمائة السنة التي دخل فيها البساسيري بغداد وخطب بجامع المنصور للمستنصر بالله العلوي خليفة مصر وأذن بحي على خير العمل وأحيا البدعة وأظهر التشيع ونهب دار الخلافة وحريمها وحمل الخليفة القائم بالله في هودج وأرسله مع ابن عمه مهاوش الى حديثة عانه وسار أصحاب الخليفة الى طغرلبك فسار طغرلبك الى العراق لرد الخليفة القائم بالله الى خلافته فلما وصل بغداد استقدمه مهاوشا صحبة الخليفة وتلقى الخليفة بالخيول والآلات والخيام العظيمة وأخذ بلجام بغلة الخليفة الى داره يوم الاثنين لخمس بقين من ذي القعدة سنة احدى وخمسين وأربعمائة ووقف طغرلبك بباب الخليفة مكان الحاجب وقاتل البساسيري فقتله وبعث برأسه الى الخليفة وأخذت أمواله ونساؤه وأولاده وفي ذلك العام فوض الخليفة القائم نقابة الاشراف بالبصرة الى السيد يحيي الرفاعي الحسيني لما شاع عنه من الزهد والاصلاح والتمسك بالسنة السنية والعمل بما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم طمعا في ازالة فتنة الرافضة على يديه ﴿حدثنا﴾ الجم الغفير من أهل العلم والصلاح أن السيد يحيي الرفاعي لما انحدر من الحجاز الى البصرة وبلغ الخليفة القائم خبر قدومه استدعاه الى بغداد وأكرم قدومه وأعظم شأنه وأفرد له دارا ووكل به من يخدمه من خواص رجاله ودعاه الى طعامه واستقبله حين قدم عليه الى صحن داره وأجلسه معه على سريره ثم بعد أن تفاوضا في الكلام كلمه الخليفة في ان يقبل النقابة على السادة الاشراف الطالبيين بالبصرة وواسط

والبطائح

والبطائح ليزيل الفتن والضغائن المتوالية بين أهل السنة وجماعة الشيعة فامتثل أمر الخليفة فكتب الخليفة له توقيع النقابة على الطالبيين بيده ونصه بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله حمداً تحسن به الشؤن ويتحوبه الحامدون والصلاة والسلام على عبد الله الاكمل ورسول الله الافضل سيدنا محمد الذى اختاره الله من أطهر الاصلاب وأشرف البطون وعلى آله وأصحابه العارفين بحقيقته العاملين بسنته ﴿أما بعد﴾ من عبد الله القائم بالله أمير المؤمنين سدّد الله بالتوفيق والعناية أقواله وأفعاله انه البرّ المعين الى العبد الصالح بركة الاسلام والمسلمين ناصر الامام والدين خادم الشريعة المحمدية قرّة عين العترة الفاطمية يحيي بن ثابت بن حازم بن أحمد بن على بن رفاعة الحسن أبى المكارم المكى الحسينى الهاشمى أعاد الله نفعه ونفع اسلافه على المسلمين (أيها السيد) المشار اليه والمعوّل عليه اعلم أن توقيعنا هذا وثيقة امامية بيدك تعهد اليك منا بالنقابة على الطالبيين بالبصرة وواسط والبطائح وما يليها من الاعمال تأمر فيهم وأمرك النافذ المطاع وكل ما يرفع منك للمقام الامامى فى شؤنهم فهو مقبول يعمل بفحواه ويحكم بمقتضاه والله الموفق المعين حرر هذا التوقيع وقرر بدار الخلافة العامرة ببغداد دار السلام ختام عام خمسين وأربعمائة من الهجرة النبوية انتهى فرجع السيد يحيي الى البصرة وراية النقابة تخفق بين يديه وأيد الله به السنة ونصر به شرف الامامة وأحكم به الامر ودفع ببركة اخلاصه ثائرة الشقاق وأعلى به مجد آل النبى عليه وعليهم السلام وكتب له كتابا غير توقيع النقابة تناقله الكتاب وأعظمه الموقعون فى الدواوين (ونصه) شرّف الله مقام الجانب الكريم السيدى النقيبى الشريفى النسيبى الحسينى بقية البيت النبوى محب خليفة الامة عضده بنصرة السنة صالح

الاولياء علم الهداة العلماء لازال عرفانه منبعا وهداه متبعا ماداخل الكلام
كيت وكيت وتليت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت نحن
نجلك عن الوصايا الا ما يتبرك بذكره ويسرك اذا اشتملت على سره فأهلك
أهلك راقب الله ورسوله جدك صلى الله عليه وسلم فيما أنت عنه من أمورهم
مسؤل وارفق بهم فهم أولاد أملك وأبيك حيدرة والبتول وكف يد من
علمت انه قد استطال بشرفه فمد الى العناد يدا واعلم أن الشريف والمشروف
سواء فى الاسلام الا من اعتدى وان الاعمال محفوظة ثم معروضة بين يدى
الله فقدم فى اليوم ما تفرح به غدا وأزل البدع التى ينسب اليها أهل الغلو فى
ولائهم والعلو فيما يوجب الطعن على آبائهم لانه يعلم ان السلف الصالح رضى
الله عنهم كانوا منزهين عما يدعيه خلف السوء من افتراق ذات بينهم ويتعرض
منهم أقوام الى ما يجرهم الى مصارع حينهم فللشيعة عثرات لا تقال من أقوال
لا تقال فسد هذا الباب سد لبيب واعمل فى حسم موادهم عمل أريب وقم فى
نهيهم والسيف فى يدك قيام خطيب وخوفهم من قوارعك مواقع كل سهم
مصيب فما دعا يحيى على خير العمل خير من الكتاب والسنة والاجماع فانظم
فى نادى قوسك عليها عقود الاجتماع ومن اعتزى الى اعتزال أو مال الى
الزيدية فى زيادة مقال أو ادعى فى الامة الماضين ما لم يدعوه أو اقتفى فى طريق
الامامية بعض ما ابتدعوه أو كذب فى قول على صادقهم أو تكلم بما أراد على
لسان ناطقهم أو قال انه تلقى عنهم سرا ضنوا على الامة بابلاغه وذادوهم عن
لذة مساغه أو روى عن يوم السقيفة والجمل غير ما ورد أخبارا أو تمثل بقول
من يقول عبد شمس قد أوقدت لبنى هاشم نارا أو تمسك من عقائد الباطن
بظاهر أو قال ان الذات القائمة بالمعنى تختلف فى مظاهر أو تعلق له بأئمة الستر

رجاء أو انتظر مقيما برضوى عنده عسل وماء أو ربط على السرداب فرسه لمن
يقود الخيل يقدمها اللواء أو تلفت بوجهه يظن عليا كرم الله وجهه في الغمام
أو تفلت من عقال العقل في اشتراط العصمة في الامام فعرّفهم أجمعين أن هذا
من فساد أذهانهم وسوء عقائد أديانهم فانهم عدلوا في التقرب بأهل هذا البيت
الشريف عن مطلوبهم وان قال قائل انهم طلبوا فقل له كلا بل ران على
قلوبهم وانظر في أمور أنسابهم نظر الايدع محلا للريب ولا يستطيع معه أحد
ان يدخل فيهم بغير نسب ولا يخرج منهم بغير سبب وساو المتصرفين في
أموالهم في كل حساب واحفظ لهم كل حسيب وأنت أولى من أحسن لمن طغى
في اسانيد الحديث الشريف أو تأول فيه على غير مراد قائله صلى الله عليه وسلم
تأديبا وأرهم ما يوصلهم الى الله والى رسوله طريقا قريبا وخل من علمت أنه
قد مال عن الحق ومال الى طريق الباطل فرقا وطوى صدره على الغل وغلب من
أجد على ما سبق في علم الله من تقديم من لم يقدم حنقا وحاروا وقد أوضحت لهم
الطريقة المثلى طرقا واردعهم ان تعرضوا في القدح الى نضال نصال وامنعهم
فان فرقهم كلها وان كثرت خابطة في ظلام ضلال وقدّم تقوى الله في كل عقد
وحل واعمل بالشريعة الشريفة فانها السبب الموصل الحبل والله تعالى
يرفعك في الزلفى الى أشرف محل ويمدّ لك رواق عز اذا أبرزله البرق خده خجل أو مدّ
الغمام له سرادقه اضمحل اه ۞ فانتظمت الاحوال ببركته وحسن الامر
وسكنت الفتن وأيد الله السنة ورفع شرف آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم
وبقيت قاعدة بيت بني رفاعة في البصرة الى زمن ولد السيد يحيى أعني السيد
عليا أبا الحسن الملقب بالمكي دفين رأس القرية محلة ببغداد فانه سكن واسط
وصاهر أخواله الانصار سكان واسط تزوّج منهم بالشيخة العارفة فاطمة

الانصارية أخت شيخ الوقت الباز الاشهب السيد منصور البطائحي الربانى الانصارية لاب الحسينية لام فاعقبت له جماعة أجلهم وأعظمهم شيخ الشيوخ امام الزمان قطب الاوان سيدنا السيد أحمد محيي الدين أبو العباس الرفاعي قدّس الله روحه وسيأتي ذكره ان شاء الله

أقول وفي سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة كسفت الشمس كسوفا كليا حتى لم يبق منها شيء وظهرت الكواكب ۞ وفي سنة ست وخمسين وأربعمائة شاع ببغداد وكثير من البلاد أن جماعة من الاكراد خرجوا يتصيدون فرأوا في البرية خماسودا وسمعوا فيها لطما شديدا وعويلا وقائلا يقول قدمات سيدوك ملك الجن وأي بلد لم يلطم أهله قلع من أصله فصدّق ذلك ضعفاء العقول من النساء والرجال حتى عادوا يخرجون الى المقابر وينوحون ويلطمون ۞ وفي سنة ستين وأربعمائة كانت زلازل عظيمة حتى فارق الناس ديارهم واستوطنوا الصحارى وخربت البلاد وصعد الماء من رؤس الآبار وزال البحر عن الساحل مسيرة يوم ونزل الناس يلتقطون فرجع عليهم فأهلكهم عن آخرهم وتوفي القائم في شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة وكان قد افتصد ونام فانفجرت فصادته وهو نائم وسال دمه حتى مات وعمره ست وسبعون سنة وثلاثة أشهر وخلافته أربع وأربعون سنة وتسعة أشهر الا خمسة أيام

۞ خلافة المقتدى ۞

لما توفي القائم بويع المقتدى بالخلافة وهو عبد الله بن محمد الذخيرة بن القائم ۞ وفي أيامه سنة تسع وسبعين وأربعمائة كانت أيضا زلازل عظيمة حتى فارق الناس ديارهم واستوطنوا الصحارى وتوفي في المحرم سنة تسع وثمانين

وأربعمائة

وأربعمائة وعمره ثمان وثلاثون سنة وثمانية أشهر وخلافته تسع عشر سنة وثمانية أشهر

خلافة المستظهر

لما مات المقتدى بويع بالخلافة ابنه المستظهر وهو أبو العباس أحمد وفى أيامه احترقت المدرسة النظامية ببغداد وهى أول مدرسة بنيت فى الاسلام ۞ وفى سنة ثمان وتسعين وأربعمائة اجتمع الحجاج من خراسان والعراق والهند والسند وماوراء النهر وساروا فلما وصلوا قرب الرى أتاهم الباطنية وقت السحر فوضعوا فيهم السيف فقتلوهم عن آخرهم وأخذوا جميع أموالهم وفى أيامه ملك الفرنج أكثر الشام وقتلوا من المسلمين ما يزيد على مائة ألف نفس ۞ وفى سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة فى شعبان ملك الفرنج بيت المقدس بالسيف وأقاموا يقتلون فى المسلمين سبعة أيام وقتلوا فى المسجد الاقصى ما يزيد على سبعين ألف نفس منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وعبادهم وزهادهم وغنموا مالا يقع عليه الاحصاء وجفل الناس ووصلوا الى بغداد واجتمع أهل بغداد فى الجوامع فى رمضان وبكوا واستغاثوا حتى انهم أفطروا من عظم ماجرى عليهم وتمكن الفرنج من البلاد بسبب الخلاف الذى وقع بين السلاطين السلجوقية وقال ابن الابيوردى فى ذلك من قصيدة

مزجنا دماء بالدموع السواجم * فلم يبق فينا عرضة للمزاحم
وشر سلاح المرء دمع يفيضه * اذا الحرب شبت نارها بالصوارم
وكيف تنام العين ملء جفونها * على هبوات ايقظت كل نائم
وأخوانكم بالشام أضحى مقيلهم * ظهور المذاكى أو بطون القشاعم

يسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرّون ذيل الخفض فعل المسالم
فكم من دماء قد أبيحت ومن دمى * توارى حياء حسنها بالمعاصم
أترضى صناديد الأعاريب بالأذى * وتغضى على ذل كماة الأعاجم
فليتهم اذلم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم

وتوفى المستظهر فى ربيع الآخر سنة اثنتى عشرة وخمسمائة وعمره احدى وأربعون سنة ونصف وخلافته أربع وعشرون سنة وثلاثة أشهر

﴿خلافة المسترشد﴾

لما توفى المستظهر بويع بالخلافة ابنه المسترشد أبو منصور فضل ووقعت بينه وبين السلطان مسعود السلجوقى حرب فأخذ المسترشد أسيرا وأفرده فى خيمة ووعده أن يطلقه وان يعيده الى الخلافة فاغفلت الباطنية السلطان مسعودا ووثبت على الخليفة فقتلوه فى ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة ومثلوا به فجدعوا أنفه وقطعوا أذنيه

﴿خلافة الراشد﴾

لما قتل المسترشد بويع بالخلافة ابنه الراشد بالله أبو جعفر المنصور ثم خلع بعد مدة يسيرة وقتل بعد ذلك وسببه أنه وثب عليه نفر من الخراسانية الذين كانوا فى خدمته فقتلوه فى رمضان سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة وخلف الراشد احدى وعشرين ولد ذكرا أكبرهم حملت به أمه وأبوه ابن تسع سنين وهذا لم يسمع بمثله قط وذلك أن اباه وهب له جوارى وهو ابن تسع سنين وأمرهن ان يلاعبنه فحملت احداهن فسئلت عن ذلك فقالت حملت من الراشد فحضر بها رقيب فقال والله مالى الاهو ولا حملت الامنه فأحضر بقية الجوارى

وسألهن فقالوا انه قد بلغ فأمر جارية منهن فتحملت بالقطن وأمر الراشد فوطئها ثم أخرج القطن من فرجها وعليه المني فلم أتها حملت منه ومن عجيب ما اتفق له انه جمع أهله كلهم في سرداب وأمر أبا القاسم الحاجب بتجريد سيفه ووقف واياه وأخذ الآخر سيفا وقال له اياك أن يسبق سيفي سيفك فاني اريد أن أقتل كل من في السرداب حتى لا يبقى من يصلح للخلافة غيري ثم فتح باب السرداب وجرد السيف فورد الخبر بأن عماد الدين زنكي قد هرب ونهب الحريم الطاهري فرمى السيف من يده ودخل القصر وأخذ ما أطاق من الجواهر وخرج هاربا وسلم كل من في السرداب

﴿خلافة المقتفي﴾

لما خلع الراشد وقتل بويع المقتفي محمد بن المستظهر في ذي القعدة سنة عشرين وخمسمائة وهو عم الراشد فالراشد والمسترشد أخوان كما أن السفاح والمنصور اخوان والهادي والرشيد اخوان والواثق والمتوكل اخوان فأما ثلاثة اخوة فالامين والمأمون والمعتصم اخوة أولاد الرشيد والمكتفي والمقتدر والقاهر اخوة أولاد المعتضد والراضي والمتقي والمطيع اخوة أولاد المقتدر وأما أربعة اخوة فالوليد وسليمان وهشام ويزيد أولاد عبد الملك لا يعرف غيرهم ﷺ وفي أيامه سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة كانت بالشام زلزلة عظيمة ترجف كثيرا وأقامت الزلازل مدة ﴿ويحكى﴾ انها تزلزلت في يوم وليلة ثمانين مرة وفي سنة خمس وأربعين وخمسمائة أخذت العرب الحجاج بين مكة والمدينة وأخذت جميع أموالهم ودوابهم وهلك أكثرهم بالجوع والعطش ولم يصل منهم الا القليل وتوفي المقتفي في ربيع الاول سنة خمس وخمسين وخمسمائة وكانت خلافته أربعا وعشرين سنة وثلاثة أشهر ونصفا

﴿خلافة المستنجد﴾

لما مات المقتفي بويع المستنجد بالخلافة وهو أبو المظفر يوسف ويقال له أبو أحمد وكان صالحا محبا للعلماء والاولياء مكرما لاهل الدين ﴿يحكى﴾ أنه قبل ان يصير خليفة رأى في منامه ان ملكا نزل من السماء فكتب في كفه ثلاث خاآت فلما أصبح سأل المعبرين عن منامه فقالوا له انك تلي الخلافة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ﴿ومن عجائب ماوقع من أسرار الله تعالى في هذه السنة ان ولي الله القطب الكبير السيد أحمد بن الرفاعي قدس الله سره وروحه توجه لاجل أداء فريضة الحج الى بيت الله الحرام ثم بعد أن وصل وأدى فرضه رجع بقافلة عظيمة من أتباعه ومحبيه ورفقائه وغيرهم الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام فلما أشرفت القافلة على المدينة وكانت أزيد من تسعين ألفا وفيهم من العراق والشام والمغرب واليمن ومن بلاد العجم هنالك ترجل السيد أحمد رضي الله عنه عن مطيته ومشى حافيا حتى وصل حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووقف تجاه قبره الطيب الطاهر وقال السلام عليك ياجدي فاجابه عليه الصلاة والسلام بقوله وعليك السلام ياولدي سمع كلامه الشريف كل من كان في الحرم النبوي فتواجد لذلك السيد أحمد وحن حنين الثكلى وجثا باكيا على ركبتيه ثم قام يرتعد وأنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الزكية من القبر الشريف فقبلها والناس ينظرون وقد كان في الحرم الشريف عند خروج اليد النورانية المحمدية الالوف وفيهم من أكابر العصر الشيوخ الكمل حيوة بن قيس الحراني وعدي بن مسافر

وعقيل المنبجي وعبد القادر الجيلي وأحمد الزاهد الانصاري وشرف الدين أبو طالب بن عبد السميع الهاشمي وأحمد بن عبد المحمود الربعي ومبارك بن جعفر الأونيوي وعبد الرحمن بن علي الدغيبيني وأبو الفرج عمر الفاروثي ويعقوب ابن كراز العبيدوي وعلي الطبري وأبو الفتح ماهان العباداني والحاج رمضان بن عبد البر بن عبدويه الواسطي وأرسلان التركماني الدمشقي وابن أبي السعادات العلوي البغدادي ومحمد ابن الصناديقي الشريف البغدادي وعبد المحسن الأنصاري الواسطي واستفاض خبر هذه المنقبة الشريفة وتواتر وسارت به الركبان ولم يستفض ويتواتر في زمن من الازمنة بعد عهد الصحابة الكرام لولي من الأولياء الأعلام كرامة كما استفاضت هذه الكرامة وتواترت للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه وكيف لا وهي معجزة محمدية أكرم الله بها نبيه صلى الله عليه وسلم وامتن بها على وليه السيد أحمد وهي أشهر من كل منقبة للأولياء مشهوره وكرامة لهم مذكوره ﴿حدثنا﴾ الأمير الجليل أحمد بن أبي علي الحسن بن علي بن أبي بكر العباسي الهاشمي على شاطئ نهر الفرات ظاهر البيرة بديار حلب ومثله ثقة يعتمد بنقله ان أباه حدثه عن أبيه علي بن أبي بكر بن المسترشد أنه حج سنة خمس وخمسين وخمسمائة ومعه جماعة من كبراء بني هاشم فلما انتهوا الى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم وقد دخلها في ذلك اليوم السيد أحمد الرفاعي قدس الله روحه ووقف بمقام المواجهة أمام قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسلم فرد عليه النبي السلام والناس يسمعون وأنشد السيد أحمد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الأرض عني وهي نائبتي

وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها والناس ينظرون ﴿وحدثنا﴾

الشريف الكبير أحمد بن أحمد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن اسمعيل بن سليمن العباسي الهاشمي عن أبيه نقيب الهاشميين بمكة أحمد أبي جعفر المكي انه قال لم يتواتر لولي من الكرامات ما تواتر للسيد أحمد بن الرفاعي وقال كان ملوك الأطراف والخلفاء يعتقدون فيه ويتخذون كتبه التي ترد اليهم منه أحرازا ويتبركون بمن يرد عليهم من خلفائه واتباعه ويحتفلون بشأنه احتفالا لا مزيد عليه ويعبرون عنه ببركة الله في الارض اليوم ﴿وحدثنا﴾ شهاب الدين أحمد بن يوسف بن خليل عن أبيه عن الشريف جعفر بن محمد بن جعفر ويعرف شرف الدين العباسي المكي ثم البغدادي محدث مكة انه سمع أباه قاضي القضاة محمدا أبا الحسن بن جعفر الهاشمي يقول كنت في المدينة المنورة سنة خمس وخمسين وخمسمائة وقد وصلها السيد أحمد بن الرفاعي زائرا فوقف تجاه قبر النبي صلى الله عليه وسلم وسلم عليه فرد عليه السلام سمع ذلك من في الحرم النبوي ثم أنشد

في حالة البعد روحي كنت أرسلها * تقبل الأرض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت * فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فظهرت له يد النبي صلى الله عليه وسلم فقبلها وقد رآها كل من في الحرم وقد كنت ممن رآها والحمد لله رب العالمين ﴿وحدثنا﴾ الشريف عبد السميع بن شرف الدين عبد الرحمن المكني بأبي طالب الواسطي عن أبيه عن الشيخ عبد القادر الجيلي انه قال في مدرسته في سادس محرم سنة سبع وخمسين وخمسمائة رأيت يد النبي صلى الله عليه وسلم كيف مدت للسيد أحمد بن الرفاعي فسح الله في حياته وبجانبي أبو الفضل عبد الله المنصوري وابن النهر ملكي وهي والله مزية يغبطه عليها الملأ الأعلى ﴿وحدثنا﴾ بمثل ذلك أبو الفضل عبد الله البطائحي

عن الشيخ علي بن ادريس اليعقوبي عن الشيخ عبد القادر الجيلي وحدثنا الشيخ عدي الصغير عن ابن عمه الركن عن ولي الله عدي بن مسافر انه قال كنت واقفا تجاه الحجرة النبوية حين ظهرت منها يد النبي صلى الله عليه وسلم للسيد أحمد بن الرفاعي وبحذائي علي ابن موهوب فلما خرجت اليد الشريفة قبلها شيخنا السيد أحمد ونحن ننظر مع الحاضرين وقد كادت تقوم قيامة الناس لما داخلهم من سلطان هيبة النبي صلى الله عليه وسلم وبالجملة فهذه القصة بلغت مبلغ القطع والسيد أحمد نور الله مرقده هو بين طائفة الاولياء في عصره امام الهدى الذي أجمع على تفرده في طريقة الله رجال عصره وسمعت الشيخ أحمد بن عمر الخزرجي يقول بشأن السيد أحمد

نور الفلاح بأرض أم عبيدة * قد لاح يلمع للأنام بلا خفا
والشرع قد رفعت بها راياته * وشراب قرب الحق للراجي صفا
هذا الرفاعي ابن فاطمة امتطى * متن النجاح بنصر دين المصطفى
قمع الغواية والضلالة فاهتدى * بهداه من طلب الحقيقة واكتفى
والدين ما قال الرسول وصحبه * والتابعون ومن مناهجهم قفا

۞ وفي سنة حج السيد أحمد هذا حج أيضا اسد الدين شيركوه بن شاذي الذي ملك الديار المصرية وقد كان مقدم جيوش نور الدين بن زنكي صاحب الشام وحج أيضا البقباشاه ملك ماهان بديار بلخ وهو الذي يقال انه من آل كوكب ويزعم بعضهم أنه من امراء عامر من عرب الحجاز وانه كان بينه وبين الامام ابراهيم المرتضى وذوو صلات ورحم وحب خالص وقد اختلفت فيه الروايات فمن زاعم أنه عامري ومن قائل انه تركي وبعضهم يزعم أن له صهرا بآل الحسين بن علي وانه هو وابراهيم المرتضى كانا من أعوان ابن أبي السرايا ويزعم القائلون بذلك أن

كوكباهـذا أختهأم عبدالله بن الحسين بن موسى الكاظم عليه السلام وأنه لما دعا المأمون العباسى الامام ابراهيم المرتضى الى بغداد بالامان كان معه فلما توفى المرتضى مسموما خاف على نفسه ففر مختفيا ودخل بلخ ثم منها الى ماهان فوقع على صاحبها أغوزخان فتبناه وزوجه بابنة أخته طواى خاتون ولقبه الب كوكب خان ولما مات عهد اليه بسلطنة ماهان وجبالها وتسلسل فيها عقبه الى زمن ألب قباشاه صاحب ماهان من قبل علاء الدين خوارزم شاه محمد بن تكش ثم انه مات ألب قباشاه سنة عشر وستمائة وعهد بملك ماهان الى ولده سليمان شاه وأقره على ذلك السلطان علاء الدين ثم فى سنة ست عشرة وستمائة غلب جنكيزخان ملك التتار على السلطان علاء الدين وأزال ملكه وأخذ بلاده وخرب ألف مدينة غير القرى والضياع فخرج سليمان شاه من بلد ماهان بجماعة كثيرة من التراكمة وتوجه الى بلاد الروم ومعه ولداه أرطغول وكون دوغدى فمر بطريقه بنهر الفرات وأراد أن يعبر النهر بفرسه فغرق فاخرج ودفن امام قلعة جعبر والتحق ولداه بالسلطان علاء الدين السلجوقى صاحب قرمان وقونية فاكرمهما وأعطاهما امارة بعض البلاد ولهما فى الروم شأن عظيم والله تعالى أعلم ﴿ويروى﴾ عن الثقات أن السيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه لما تشرف بلثم اليد النبوية تواضع لله تعالى وخاف على نفسه من آفة العلو فاضطجع بباب الحرم النبوى وأمر أن يدوس من حضر عنقه برجله ففعل العامة وخرج الخاصة من أبواب أخر وكان ممن تأدب ولم يتخط عنقه الشريف أسد الدين شيركوه الذى مر ذكره وألب قباشاه هذا ولما عاد السيد أحمد الرفاعى الى خيمته ذهبا اليه وأخذا عنه عهد طريقته المباركة هما ومن معهما وقام أسد الدين أمام السيد أحمد مقام الخادم وخاطبه بقلبه فى تملك مصر وديارها وكان

حريصا على ذلك فرفع اليه السيد أحمد رأسه وقال أى أسد الدين سيكون لك ذلك بعونة الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله وكان ذلك فانه فى سنة اثنتين وستين وخمسمائة سار فى ربيع الآخر فى جيش بلغ عددهم ألفى فارس فقابله الافرنج ومن معهم من المصريين وقاتلوهم قتالا شديدا وثبت أسد الدين فيمن معه وحمل عليهم حملة علوية فهزمهم ووضع فيهم السيف وأكثر القتل والأسر وكان هذا من العجائب أن ألفى فارس تهزم عساكر مصر وفرنج الساحل وملك أسد الدين الاسكندرية وبعد ذلك خرج الفرنج من مصر وتسلم المصريون الاسكندرية بشروط وأنجز الله وعده لوليه السيد أحمد رضى الله عنه وان ألب قباخان أيضا جمع قلبه على ان يجعل الله نصرة الدين وسلطنة المسلمين فى بيته وذريته فكاشفه السيد أحمد رضى الله عنه بالذى فى خاطره وقال له اصبر فسيكون ما مر بخاطرك ان شاء الله تعالى قلت وسيكون ذلك فان وعد الأولياء المتمكنين من الالهام الالهى والله لا يخلف الميعاد

﴿عود﴾ كان المستنجد موصوفا بالعدل والرفق أطلق من المكوس شيأ كثيرا بحيث لم يترك بالعراق مكسا قال ابن الجوزى كان موصوفا بالفهم الثاقب والرأى الصائب والذكاء الغالب والفضل الباهر له نظم بديع ونثر بليغ ومعرفة بعمل آلات الفلك والاسطرلاب وغير ذلك ومن شعره

عيرتنى بالشيب وهو وقار * ليتها عيرت بما هو عار
ان تكن شابت الذوائب منى * فالليالى تزينها الاقمار

﴿وفى عهده توفى الشيخ عبد القادر بن أبى صالح بن موسى جنكى دوست الجيلى الحنبلى أحد مشايخ الطريقة المشهورين كان أميا ففتح الله عليه وصاحب العلماء والمشايخ وأخذ عنهم وانتفع بصحبتهم وظهر له سمت وصمت وبعد مشقة

كثيرة وأتعاب وسياحات طويلة ومجاهدات وفقر واضطرار دخل بغداد ولبس
بها الخرقة من الشيخ أبي سعيد بن المبارك المخرمي المخزومي صاحب الشيخ علي
القرشي الهكاري وتلقن الذكر من الشيخ حماد الدباس الرحبي صاحب الشيخ
منصور الزاهد الانصاري البطائحي ويعرف بالباز الاشهب وهو خال السيد
أحمد بن الرفاعي ثم بعد مدة درس بمدرسة شيخه المخزومي وكان قد أعطاها له
ووسعها له العوام بصدقاتهم واشتهر بالوعظ وتاب بمجلس وعظه خلق كثير
وأسلم على يديه جماعة من النصارى واليهود وكان على جانب من الصدق
والصلاح وحسن الحال وعمل له رباط ومدرسته ورباطه مشهوران وكانت
وفاته سنة احدى وستين وخمسمائة ويؤثر عنه كرامات وأحوال صالحة وأخرج
في زمن الناصر من قبره بفتوى بعض الفقهاء الحنابلة أمر باخراجه سنة ثلاث
وتسعين وخمسمائة الوزير أبو المظفر الحنبلي ويقال انه رمى عظامه باللجة وقال
المدرسة وقف لا يحل أن يدفن فيها أحد وأسباب ذلك اهانة مستها من أولاد
الشيخ عبد القادر أيام كان منكوبا فلما استوزره الخليفة انتقم منهم وبعث بهم
الى الطوامير بواسط فمات أكثرهم بها ولم يبق منهم في بغداد أحد والى يومنا هذا
لم يكن لهم بقية ببغداد ويذكر انهم بقية بالجبال من أعمال الموصل وأصلهم من
كيلان وهي بلاد متفرقة وراء طبرستان ومن العجب أن ملوكهم كل منهم
مستقل بنفسه منفرد بملكه على ضيق بلادهم وقرب مجاورة بعضهم من بعض
والجبل والبحر يحصرانهم الجبل من جنوبهم والبحر من شامهم وهو البحر
الطبرستاني المسمى حيث هو بالقلزم وليس به وهو بحر لا يتصل بالمحيط لا بمصب
منه ولا بمصب اليه وهؤلاء رسلهم قليلة وكتبهم أقل من القليل ولذلك لا يمكن
للمؤرخ أن يقف على حقائق أهلها وأنساب رجالها وسيأتي ذكر نسب

الشيخ

الشيخ عبد القادر وما وقع بشأنه في محله ان شاء الله تعالى ۞ ومن أخبار المستنجد وصلاحه انه كتب كتابا الى السيد أحمد الرفاعي نقله ابن المهذب في كتابه عجائب واسط وسيره له مع حاجبه نصر بن عماد قال فيه بسم الله الرحمن الرحيم من أمير المؤمنين الى السيد العارف الزاهد الشريف الدال على الله بهدى رسوله صلى الله عليه وسلم أحمد ابن الشريف أبي الحسن البطائحي العلوي نفع الله به المسلمين (أما بعد) فاني أسألك بالله أن تكثر من النصيحة لي بجوابك فاني في حاجة لنصيحتك وأي حاجة ولا ريب عندي بحصول بركة نصحك لي ان شاء الله فأجبني بما يفتح الله به عليك مكثرا فانك مهبط الفتح اليوم وأسألك الدعاء لي وللمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وطوى الكتاب ثم بعد ان قرأه قال ماذا أقول ان قلت لا أقدر على النصيحة خفت الرياء وان قلت أقدر خفت الفضيحة ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم انه أمر بدواة وقرطاس وأمر الكاتب أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله والصلاة والسلام على سيد خلقه محمد عبده وحبيبه ومصطفاه (أما بعد) من الفقير الى الله أحمد بن علي أبي الحسن كان الله له الى الامام الخليفة المطاع أمير المؤمنين أبي أحمد المستنجد بالله العباسي الهاشمي أيده الله بما أيد به عباده الصالحين آمين وصلنا كتابك الآمر بالنصيحة والحديث الشريف الدين النصيحة الدين النصيحة الدين النصيحة ولولا هذا الحديث لما تصديت لنصحك لان نصيحة مثلك بارك الله فيك لها شرطان الاخلاص من الناصح والقبول بشرط العمل بالنصيحة من أخيه أيدك الله بتوفيقه يا أمير المؤمنين ان أنت أنفذت أحكام كتاب الله تعالى وتقدس في نفسك نفذت أحكام كتبك في ملكه وان عظمت أمر الله تعالى باتباع رسوله عليه الصلاة والسلام واحتفلت

بشأنه الكريم عظم الناس عمالك وولاة الامور من قبلك ولا تنظر يا أمير المؤمنين ما عليه القياصرة وملوك المجوس من القوة فى ملكهم مع انسلاخهم وبعدهم عن كل ما ذكرته لك فانهم جهلوا الحق فأبعدهم الله عنه وقربهم من الدنيا وقربها منهم وولاهم أمر من شاء من خلقه فان ساسوهم بما تسكن اليه أفئدتهم وتطمئن له طباعهم دام أمرهم فى حجاب دنياهم الى أن تنقطع حبال آجالهم وان لم يسوسوهم بالرفق والمداراة وأوقعوا فيهم ما يثقل عليهم سلطهم الله عليهم فسلب دنيا قوم بقوم والنار مأوى الكافرين وأما أنت يا أمير المؤمنين فحافظ ثغور وحارس دماء وأموال حزت بكل مفازاتها سيوف الاسلام لا عملا بقدومك بعد حين ولا تمهيدا لك لتفعل برأيك انما كان ذلك لله ولرسوله فافزع فى كل أمورك الى الله وعظم فى كل شؤونك أمر رسول الله وأنت حينئذ فى أمان الله وظل نبيه نافذ الامر ثابت السلطان مؤيدا بجند الله وكلماته ولا تبديل لكلمات الله ثم زن يا أمير المؤمنين كل ما يصل الى خويصة نفسك فى هذه الدار من طعام تأكله وشراب تشربه ورداء ترتديه وظل تستظله واجعل الشره على الدنيا بقدر ذلك واياك وظلم العباد واذا استفزك الشيطان ورام نزعك الى الظلم فسل نفسك ان لو كنت مسجونا أو مظلوما أو مقهورا أو مكذوبا عليك ما الذى تريده لنفسك من سلطانك وعامل الناس بما تريده لنفسك فانك ان فعلت ذلك وفيت العدل والآدمية حقهما واعلم أن ما أنت فيه من الملك والدولة شئ يسير من ملك الله تعالى وأنت جزء صغير منه فان رأيت لك شيأ ونسيته وقت تفعل فعل من يزعم مشاركته فى ملكه فأهملت حقه وغدرت خلقه يصرف عنك عونه ونصره ولك فيمن باد عبرة ولا تنظر يا أمير المؤمنين الى من صرفهم الله عن مشغلة الدنيا من أحبابه المقربين اليه كبعض الصحابة الذين نازعهم الناس

وانتزعوا أزمة الدنيا من أيديهم لان أولئك قوم اجتذبهم اليه وولى على الناس
من يشا كلهم فى أعمالهم وكل عن عمله مسؤل ولا يظلم ربك أحدا يا أمير المؤمنين
ظلك ما أظلك ورداؤك ما سترك وطعامك ما أشبعك ومالك مالك منه شئ وليس
لك من الامر شئ ان ربى على ما يشاء قدير نعم أنت خاتم من خواتيم القدر
يطبع على ألواح الصور فيرفع الله به ويضع ويصل به ويقطع فان أنت لزمت
الادب مع الفعال المطلق برعاية حق شرعه الذى شرع لعباده أثابك وأدار محور
الوهب بك وبأهلك بعدك وان أهملت أمره وهتكت ستر خلقه دخلت فى عداد
الظالمين وما للظالمين من أنصار يا أمير المؤمنين أهل الفهم السليم والذوق
الصالح تجتمع هيئتهم الى الحق ويترعرعون فى بحبوحة العدل والاحسان
فكبيرهم وصغيرهم أميرهم ومأمورهم حرهم وعبدهم فى الدين سواء ولكل
منهم مقام معلوم لا تشب فيهم نار الشقاق ولا يتحكم فيهم سلطان سوء الاخلاق
يحكمون بما أنزل الله ولا يزالون فى أمان الله ولو احتالوا فى الحكم فجعلوا له وجها
فى الظاهر وأبطنوا الباطل يقول لهم الحكم العدل ومن لم يحكم بما أنزل الله
فاولئك هم الفاسقون فاذا أظهروا الباطل وهيؤا له سبيلا شرعيا أدخلته غلبتهم
وشوكتهم فى الحكم قال الحق تعالى لهم ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم
الظالمون فاذا أظهروا الباطل وانتحلوا له سبيلا من الرأى استصغارا لحكمة
الشرع وتعززا بالامر فحكموا به قال لهم المنتقم الجبار ومن لم يحكم بما أنزل الله
فاولئك هم الكافرون يا أمير المؤمنين أروقة الاعمال لا تعمر بأيدى الخيال ولا
يصان حى الا بمادة جامعة تلصق القلوب بعضها وتدفع النزاع والتفرقة وماهى
والله الا الشرع العادل والسنة المحمدية الصالحة وكل ذلك أمر الله الذى طبع
الطباع وعلم ما تطيب له وبه يرتاح الضعيف لطلب حقه من خصمه القوى وأنت

تدرى يا أمير المؤمنين أن ابن عمك امام المسلمين عليا أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضى الله عنه حدث عن ابن عمه سيد المخلوقين أنه قال لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوى غير متعتع والامر والله كذلك وعلمت يا أمير المؤمنين من سيرة عمر بن الخطاب الفاروق الجليل رضى الله عنه أنه لم يرهب فارس والروم والمغرب والصين والهند والسبربر بفرش الديباج وبسط الحرير وكؤس الجوهر والخيول المسومة والبيوت الشاهقة والاقواس المذهبة انما أرهبهم بالعدل المحض وأخمشوس رجالهم بالحكمة البالغة ألا وهى شريعة نبيك سيد الحكماء وبرهان العقلاء وامام الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم * ولتعلم أمطر الله على قلبك سحاب الالهام المبارك والتوفيق وأحكم أمرك بالاعوان الصالحين أهل الحكمة والنجدة أن الحق كمين تحت ضلوع الخاصة والعامة المحق منهم والمبطل فربما أعانك عبدك على باطلك بيده ولسانه انقيادا لوقتك وأنكره عليك بسره وأضمر قلبه لك بعدها السوء فلا يزكى ذكرك لديه ولو جعلته حرا ثم أكبرته ثم استوزرته بل ولو كان أشد منك باطلا وهذا سر الله المضمر فى الحق (واعلم) أى سيدى أن جيش الملوك العدل وحراسهم أعمالهم ودفاتر أحوالهم عمالهم وأصحابهم وهذه الدفاتر فى أيدى العامة فأصلح دفتر أحوالك وأحكم حراستك وأيد جيشك وعليك بأهل العقل والدين واياك وأرباب القسوة والغدر والضلالة فهم أعداؤك وصن أمرك من أن تلعب به النساء والاحداث والذين لا نخوة لهم فأنهم من دواعى الخراب والاضمحلال واذا أحببت فحكم الانصاف فى عملك حتى لا تقدم غير محق أو ترفع بغير الحق واذا كرهت فاذكر الله ونزه طبعك من جور الغدر فان مكانك مكان الأمن يدور صاحبه مع الحق لا مع الغرض واذا غضبت فاجنح للعفو فان

اخطأت فيه فهو خير من ان تخطئ في العقوبة واجعل بذلك ونوالك لاهل الدين والحكمة والغيرة للاسلام واخترمنهم أشرفهم طبعا وأكبرهم عقلا وأوجزهم رأيا وانطقاوأثبتهم حجة وأعلمهم بالله ورسوله وساوالناس برا وفاجرا مؤمنا وكافرا في باب عدلك واحفظ حرمة الدين وأهله واعمل عملا تحسن به عاقبتك اذا لقيت ربك والله ولي التوفيق انا لله وانا اليه راجعون والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته انتهى الكتاب ﴿قال﴾ الشيخ ابن الطري قدس سره ثم أخذ سيدنا السيد أحمد الكتاب بيده واعطاه للحاجب وقال هذا ما عندنا والخير كله بيد الله فأخذ الحاجب الكتاب ومضى الى بغداد وأعطى الكتاب الأحمدي الى الخليفة رحمه الله ونور ضريحه واستأذنه بعد أيام قلائل بالعود الى أم عبيدة لأخذ بيعة الطريقة من الامام السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه فأذن له وأرسل معه الهدايا والتحف والاموال الكثيرة لتوزع على فقراء الرواق وأقسم بالله ان كل ما أرسله من ارث حلال فلما وصل أم عبيدة بهدايا الخليفة وذكر يمين الخليفة أمره السيد أحمد الكبير رضي الله عنه ففرق الهدايا والاموال على الفقراء ثم انه أخذ العهد على يديه وصار من خواص محبيه رضي الله عنهم (قال ابن الطري) قد سألت الحاجب نصر بن عماد عن شأن الخليفة بعد ان قرأ الكتاب الاحمدي فقال دخلت عليه خلوته ففتح الكتاب وقرأه وبكى ثم قرأه وبكى ثم قرأه وبكى حتى اخضلت لحيته بالدموع وتأوه تأوه الثكلى ثم لما هدأ روعه وسكن حاله التفت الي وقال يا نصر والله ان في لسان السيد أحمد نغمة من لسان جده عليه الصلاة والسلام ولا ريب فهذا الرجل بركة بلاد الله اليوم وظل يسألني عن قيامه وقعوده ولباسه وأكله وشربه وكلامه وما هو عليه فكلما ذكرت له شيأ أكثر من البكاء حتى رحمته وأمسكت عن الكلام اهـ (وقد كان)

المستنجد عالماً ويقال انه ألف فى كل علم كتاباً وكان صاحب رأى وفهم وعقل سليم ودين متين وقد بويع بالخلافة فى السنة المباركة التى مدّت فيها يد النبى صلى الله عليه وسلم من قبره للسيد أحمد الرفاعى رضى الله عنه وهى سنة خمس وخمسين وخمسمائة وتصدّر على سرير الخلافة ناشراً لواء العدل فأقام مدة مديدة ودخل الحمام فعمل عليه وأغلق عليه الحمام حتى مات فى ربيع الآخر سنة ست وستين وخمسمائة

﴿خلافة المستضىء﴾

لما مات المستنجد بويع بالخلافة المستضىء وهو أبو محمد الحسن بن المستنجد ولم يكن أحد من الخلفاء من اسمه الحسن غير الحسن بن على وهذا وتوفى فى ذى القعدة سنة خمس وسبعين وكانت مدة خلافته تسع سنين وتسعة أشهر

﴿خلافة الناصر﴾

لما توفى المستضىء بويع ابنه الناصر بالخلافة ولما ولى قبض على ظهير الدين أبى بكر بن العطار وأخذ أمواله وخنقه وأخرجه على حمال فثارت به العامة ورموه من على رأس الحمال وربطوا فى ذكره حبلاً وسحبوه فى البلد وكانوا يضعون فى يده مغرفة مغموسة فى العذرة يعنى أنها قلم ويقولون وقع لنا يا مولانا الصاحب ثم أخذوه منهم ودفنوه ۞ وفى أيامه سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة فتح الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بيت المقدس وكان يوماً مشهوداً وحصل للمسلمين سرور عظيم فى أقاصى الارض وفى أيامه سنة ست عشرة وستمائة ظهرت التتار وهو أوّل دخولهم بلاد الاسلام وفتكوا فى المسلمين فتكاً عظيماً ولم ينكب المسلمون من ابتداء الاسلام بأعظم من هذه النكبة فان

التتار ملكت أكثر البلاد وفعلت فى المسلمين كفعلهم وتوفى الناصر فى شوال
سنة اثنتين وعشرين وستمائة وكان مغرى برمى البندق ولبس سراويلات
الفتوة ولعب الطيور المناسيب وأفرط فى ذلك افراطا كثيرا حتى كان يبعث
الى الاقاليم أن لا يدعى أحد من الرماة الاله ولا يلبس أحد اسراويل الا له ۞ ومن
غريب ما يحكى عنه انه لما ملكت التتار البلاد دخل عليه الوزير فأخبره بذلك
فقال دعنى أنا فى شئ أهم من هذا طيرتى البلقاء لى ثلاثة أيام ما رأيتها وهذا
كقول الامين لما حوصرت بغداد وأخبر بقدوم طاهر بن الحسين وهو جالس
على بركة وبيده صنارة فقال دعونى الساعة فان كوثرا قد صاد سمكتين وأنا الى
الساعة ما صدت شيأ (فائدة) كان اذا ذكر الناصر بحاله وما هو عليه فى مجلس
السيد أحمد رضى الله عنه يقول لذاكريه كفوا عن الرجل فانه من أهل البيت
واذا سمعتم أحدا يذكر معايب شخص من أهل البيت كائنا من كان فسدوا
آذانكم باصابعكم ولا تسمعوا ذكره بالسوء حفظا لحرمة نبيكم صلى الله عليه وسلم
وان للناصر فى أعناقكم طوق البيعة وحفظ حرمة أولى الامر انما هو من
توقيره عليه الصلاة والسلام فان الادب يقضى بذكر أولى الامر بالخير والكف
عن مساويهم والدعا لصالحهم بالحسنى والزيادة ولطالحهم بالاصلاح والتوفيق
ورد أمرهم الى الله تعالى نعم يجب على بطانتهم ورجالهم بذل النصيحة لهم
وقودهم الى الخير وابعادهم عن الشر فان ائتمروا بأوامر الله وانتهوا عن مناهيه
دام أمرهم وكبر شأنهم وخيرهم لهم ولرعيتهم والا فكل عن عمله مسؤل ولا يظلم
ربك أحدا وأما أنتم معاشر الفقراء المتفرقين فى الربط والزوايا ترد لكم الاخبار
بالألسن المختلفة من الطرق المختلفة بالروايات المتباينة وما أنتم للرجل ببطانة
ولا علمتم المنكر علم اليقين ليترتب عليكم انكاره وغاية ما عندكم سماع رواية

معزوّة لأخ مسلم يجب عليكم فيها حسن الظن وأخذ ما صفا وطرح الكدر
وكذلك كان السلف من قبلكم ولقد جاء النص صراحا ادرؤا الحدود بالشبهات
هذا لمن سلم سيف الحكم وما بالكم بغيره فألزموا أنفسكم الادب الديني والخلق
المحمدي تحسن بضاعتكم اذا حشرتم الى ربكم والله يتولى الصالحين انتهى
❁ وكان الناصر حسنا جميل الشكل صاحب فكر صائب وخداع وحيل شجاعا
فى الحروب عطاؤه كسيل البحر الا أنه كان منهمكا فى لذاته مشغولا بشهواته
وقد كان فى زمنه أعيان الفضلاء وجهابذة الرجال وأفراد القوم فلم ينتفع بهم
لاشتغاله ببلية الهوى وانما بركة أولئك القوم عمت الزمان والمسلمين فلو منّ الله
عليه باغتنام أوقاتهم لتمّ له الامر ولكن الله يفعل ما يشاء (قال ابن ميمون)
النسابة فى مشجره وابن بختيار فى تاريخه وغيرهما الخليفة الناصر لدين الله
أبو العباس أحمد هو ابن المستضىء بأمر الله أبى محمد الحسن بن المستنجد بالله
أبى المظفر يوسف بن المقتفى لأمر الله أبي العباس محمد بن المقتدى بأمر الله أبى
القاسم عبد الله بن الذخيرة محمد بن القائم بأمر الله أبى جعفر عبد الله بن القادر
بالله أبى العباس أحمد بن اسحق بن المقتدر بالله أبي الفضل جعفر بن المعتضد بالله
أبي العباس أحمد بن الموفق أبى أحمد محمد بن جعفر المتوكل على الله ولم يكن
الموفق خليفة وانما كان ولى عهد أخيه المعتمد على الله فمات قبل المعتمد فصار
ولده المعتضد بالله ولى عهد المعتمد على الله وكان المتوكل على الله ابن المعتصم بالله
أبى اسحق محمد بن هرون الرشيد ابن محمد المهدى بن أبى جعفر عبد الله المنصور
ابن محمد بن على بن عبد الله أبى جعفر بن العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهم

نسب كأنّ عليه من شمس الضحى * نورا ومن فلق الصباح عمودا

فكأنّ فى آبائه أربعة عشر خليفة وهم كل من له لقب والباقون غير خلفاء وكان

فيهم ممن ولى العهد محمد بن القائم والموفق بن المتوكل وأما باقى الخلفاء من بنى
العباس فلم يكونوا من آبائه رحمه الله رحمة واسعة وتجاوز عنه وألحقه واياناً
بالصالحين آمين ﷺ ولم يل الخلافة أحد أطول مدة من الناصر فانه أقام فيها سبعا
وأربعين سنة ولم يزل فى عز وجلالة وقمع للأعداء واستظهار على الملوك
والسلاطين فى أقطار الارض مدة حياته فما خرج عليه خارجى الاقمعه ولا
مخالف الادفعه ولا آوى اليه مظلوم مشتت الشمل الاجمعه وكان اذا أطعم
أشبع واذا ضرب أوجع وكان يعطى عطاء من لايخاف الفقر وقد ملأ
القلوب هيبة وخيفة فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبه أهل بغداد وكان
الملوك والاكابر بمصر والشام اذا جرى ذكره فى خلواتهم خفضوا أصواتهم هيبة
واجلالا ودانت السلاطين للناصر ودخل فى طاعته من كان من
المخالفين وذلت له العتاة والطغاة وانقهرت بسيفه الجبابرة واندحض اعداؤه
وكثر أنصاره وفتح البلاد العديدة وملك من الممالك مالم يملكه أحد ممن تقدمه
من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الاندلس وبلاد الصين وكان أشد بنى
العباس يتصدع لهيبته الجبال وكان حسن الخلق لطيف الخلق كامل الظرف
فصيح اللسان بليغ البيان له التوقيعات المسددة والكلمات المؤيدة
وكانت أيامه غرة فى وجه الدهر ودرة فى تاج الفخر شهما شجاعا ذا فكرة صائبة
وعقل رصين ومكر ودهاء وكان مع ذلك ردىء السيرة فى الرعية مائلا الى الظلم
والعسف ففارق أهل البلاد بلادهم وأخذ أموالهم وأملاكهم وكان يفعل أفعالا
متضادة وكان يتشيع ويميل الى مذهب الامامية بخلاف آبائه وقد جعل
مشهد الامام موسى الكاظم عليه السلام والرضوان أمنا لمن لاذ به فكان
الناس يلتجئون اليه فى حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم فيقضى الناصر لهم

حوائجهم ويسعفهم فيما أهمهم ويعفو عن جرائمهم ۞ وممن توفى بأيامه ولى الله تعالى العارف بالله الدال على الله السيد أحمد بن السيد على أبى الحسن الرفاعى وكانت وفاته رضى الله عنه بأم عبيدة قرية من أعمال واسط ولها شهرة فى العراق قدم أبوه سنة تسع عشرة وخمسمائة من واسط الى بغداد ليكشف للخليفة المسترشد فتن الباطنية والغلاة من أهل البدعة وليحرضه على دفع تلك المفاسد فصار ضيفا ببيت الامير مالك بن المسيب ورفع المسترشد مكانه ولكن لم يقدر على ازالة فتنة الباطنية ودفع مفاسدهم وتعلل باستفحال أمر السلطان محمود بالعراق فانزعج السيد على الرفاعى لذلك وحم وبعد أسبوع توفى ببغداد وعمل عليه ابن المسيب مشهدا برأس القرية محلة بظاهر بغداد من جانبها الشرقى وفيه فقراء وله زوار ويؤثر عن السيد على الرفاعى هذا من الكرامات أشياء كثيرة ويلقبه العامة بالسيد السلطان على وله فى قلوب الصالحين حرمة عظيمة سقط طفل لامرأة بالشاطئ قرب مرقده فاستمدت منه فخرج من جهة المشهد رجل حسن السمت ومد يده الى الشاطئ وأخرج الطفل واعطاه الى أمه وقد أعلى الله شرفه وخلد ذكره بسبب ولده السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنه

۞ تنبيه ۞ أما نسب الرفاعى فهو أبو العباس أحمد بن أبى الحسن على بن أبى أحمد يحيى نقيب البصرة المهاجر من المغرب ابن أبى حازم ثابت بن ابى الفوارس على الحازم بن أبى على أحمد المرتضى بن أبى الفضائل على بن أبى محمد رفاعة الحسن الاصغر المكى نزيل بادية اشبيلية المغرب ابن أبى رفاعة المهدى بن أبى القاسم محمد بن أبى موسى الحسن رئيس بغداد نزيل مكة ابن أبى عبد الله الحسين بن عبد الرحمن الرضا بن أحمد الصالح الاكبر بن أبى يحيى موسى الثانى ابن أبى محمد ابراهيم المرتضى المجاب بن الامام أبى الحسن موسى الكاظم ابن

الامام أبي موسى جعفر الصادق بن الامام ابي جعفر محمد الباقر ابن الامام أبي
محمد زين العابدين علي ابن الامام أبي عبد الله الحسين الشهيد السعيد سلام الله
عليه ابن الامام ابي الحسنين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه
ورضي عنه وأكرمه بتسليماته وتحياته والامام الحسين الشهيد عليه السلام
والرضوان ابن السيدة فاطمة النبوية الزهراء عليها السلام بنت سيد السادات
وامام أئمة الموجودات رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله
واصحابه واتباعه وأشياعه اجمعين هذا نسب بني رفاعة سكان أم عبيدة
المشهور المذكور الذي وقع عليه الاجماع وشاع في جميع الانحاء والبقاع
وللسيد أحمد الرفاعي نسبة من طريق أمه تتصل بالصحابي الرفيع القدر خالد أبي
ايوب بن زيد الانصاري رضي الله عنه وله من طريق أم أمه نسبة الى السيد
عبد الله الاعرج الحسيني الشهير عطر الله مرقده ومن طريق والدة جده
لابيه السيد يحيى يتصل بالامام الحسن السبط ومن طريق أم جده لامه الشيخ
يحيى النجاري يتصل أيضا بالامام الحسن السبط عليه السلام ومن طريق
جده الاعلى الامام جعفر الصادق عليه السلام يتصل بسيد المهاجرة والانصار
أمير المؤمنين سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه * ولد السيد أحمد عام اثنى
عشر وخمسمائة في المحرم وقال آخرون في نصف رجب بأم عبيدة وحفظ
القرآن وتفقه على خاله الشيخ أبي بكر الواسطي وعلى الشيخ عبد الملك الحربوني
مات أبوه ببغداد وهو ابن سبع سنين وحمله خاله الشيخ الكبير منصور الزاهد
الانصاري ويعرف الرباني البطائحي الى بلدته نهر دقلي من أعمال واسط وعاله
وتولى أمره وسلمه الى الفقيه الزاهد العلامة الجليل شيخ واسط وفقيهها الشيخ
علي أبي الفضل الواسطي ويعرف بابن القاري القرشي فتلقى عنه علوم

الشريعة والفنون الصالحة ومكث فى مدرسته يتلقى العلوم عشرين سنة وفى خلال هذه المدة كان يلازم درس الفقيه أبى بكر الواسطى الشهير ويتردد لخدمة خاله الشيخ منصور فظهر واشتهر وانتهت اليه رياسة وقته علما وعملا وفضلا وكمالا وجلالة ولبس خرقة الشيخ على الواسطى وبلغ الفطام فى الطريق على يد خاله الشيخ منصور ثم لما توفى الشيخ على أبو الفضل القرشى الواسطى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة عهد للسيد أحمد بمشيخة الربط المنسوبة اليه وبعد سنة أيضا توفى خاله الشيخ منصور وكان شيخ الشيوخ فى عهده فعهد اليه أيضا بمشيخة الشيوخ وبسجادته والنظر على ربطه وأروقته العائدة اليه فبلغ من بعد الصيت وعظم الشهرة ورفعة المنزلة وكثرة الاتباع وحسن السمعة المرضية مالم يبلغه أحد غيره فى زمنه وكانت ملوك الاطراف من سائر الاقطار تتبرك بمن يرد عليهم من اتباعه وعظمه الخلفاء واحتفلوا بشأن بيته حدثنا الشيخ محمد الجونى والشيخ أبو بكر الفقيه الدينورى والشيخ محمد بن عبد الغنى بن نقطة الزاهد وكلهم من الثقات ان المحيا ينعقد فى رواقه كل ليلة جمعة وليلة اثنين ويجتمع فى رواقه فى تلك الليلة ما يزيد على مائة ألف انسان ويقوم بكفاية الجميع ومثل ذلك نقل شيخنا الامام أبو الفرج ابن الجوزى وغيره وفى سنة أربعين وستمائة رحت زائرا الى أم عبيدة ودخلت الرواق الاحمدى وشيخ الرواق اذ ذاك ولى الله العارف الكبير بركة الزمان السيد نجم الدين أحمد بن على الرفاعى رحمه الله ورضى عنه وهو سبط السيد أحمد الكبير الرفاعى رضى الله عنه فرأيت فى الرواق المبارك الالوف من الفقراء وقد وفدوا عليهم من أقطار الدنيا هذا هائم وهذا ساكت وهذا موله وهذا عاشق وهذا غائب وهذا مطرق وهذا يقرأ القرآن وهذا يصلى على النبى

صلى

صلى الله عليه وسلم وهذا يذكر الله تعالى وهذا فى خلوته بعبادة ربه وهذا
مشتغل بخدمة الواردين مع حسن حال وسكون وشأن عجيب بحيث لو رآهم
رجل من الصابئين أو المجوس لعرف أنهم من أولياء الله تعالى وان نبيهم صلى
الله تعالى عليه وسلم صاحب الدين الاحق والقول الحق ويقوم شيخ الرواق
بكفاية الجميع من طعام وشراب وكسوة وغير ذلك ومن أغرب ما رأيت أن رجلا
يطوف بالابر والخيوط على الفقراء وشيخ الرواق أعني السيد نجم الدين أحمد
على سنن جده سيد أولياء زمانه أبي العباس السيد أحمد الكبير الرفاعي رضى
الله عنه فى غاية التواضع والانكسار لا يعرف من بين الفقراء هذا مع ما هو
عليه من الهيبة والجلالة وكثرة العلم والفضائل ويجلس كل يوم بعد العصر
مجلسا خاصا يقرأ درس الفقه للفقراء وفى الصباح يقرأ لهم درس الادب
وتهذيب الاخلاق ويأتي بكلام من كلام جده فى هذا الباب تذهل له العقول
لم ينقل عن غيره من القوم أبدا وليس بعجيب فالسيد أحمد الرفاعي راض نفسه
وتواضع فرفعه الله وذل لله فأعزه الله وصرف قلبه عن علوم الاغيار واتقى الله
فعلمه الله وكان رواقه المبارك يجمع كل يوم أزيد من عشرين ألف فقير يمد لهم
السماط صباحا ومساء ويخدم ضيفه ويكنس الرواق بعض الاحيان بنفسه
ويقود العميان ويخدمهم ويسعف المحتاجين ويقضى حوائج الارامل
واليتامى والذين منعتهم قلة القدرة عن الخروج الى السوق من الشيوخ
والمقعدين وأصحاب العاهات ويرفق بالفقراء والمساكين ولا يقوم لاحد من
أهل الدنيا ولم يفه قط بكلمة سيئة ولا بحرف ثقيل على طبع أحد من المخلوقين
وكان لين الجانب هين الاخلاق كريم الشيم مخلوقا من الرحمة والرفق عالما عارفا
محدثا عدلا ثقة صدوقا مباركا فقيها سليم الصدر نقي الطبع طاهر السريرة

مبارك الوجه واليد واللسان حسن الافعال والاقوال هادما للبدعة ناصرا للسنة مشيد الاركان الشريعة كالنار المحرقة على أهل الضلالة والغواية لا ينصرف عن الحق مقدار شعرة عنده الغريب والقريب فى الله سواء متمكنا باتباع جده المصطفى صلى الله عليه وسلم ليس بشطاح ولا متبجح ولا متعال ولا مغال مكينا فى طوره وقورا بحاله متينا فى مقامه بلغت كراماته مبلغ التواتر والاستفاضة ولم يبلغنا عن ولى من أولياء الاعصار ما بلغنا عنه من الخوارق الصحيحة والكرامات المتواترة المستفيضة وعلو الجاه والحرمة والكرم والحلم والرفق والتواضع والتجرد لله تعالى وبالجملة فهو سيف من سيوف الله تعالى استله الله لهدم البدعة ونصر السنة واعلاء ركن الطريقة وتحكيم مجد الشريعة وزينه بنسب كريم وخلق عظيم وطبع سليم ومجد قديم وشرف صميم واتباع صالحين وأشياع خالصين بلغت عدة خلفائه وخلفائهم فى حياته الى مائة وثمانين ألفا ولم يكن فى بلاد المسلمين فى مشارق الارض ومغاربها مكان يخلو من مريديه ومتبعيه وأروقته وربطه ومريدوه لا يحصى عددهم وقد جدد الله به أمر الشريعة ورفع به منار الحقيقة وأقام علم الهداية وشمس المحو ظلمات الغواية وقد ظهر فى عصر ما أكثر العلماء والصوفية المرشدين به وما أزيد السالكين على أيديهم فيه وأكثرهم أصحاب البدع والزور والبهتان والمذاهب الباطلة والعقائد الزائغة والمنتحلات الفاسدة هذا يقول بالحلول والاتحاد وهذا يظهر فى الارض الفساد وهذا يكذب على الرسول صلى الله عليه وسلم فيؤول شريعته على هواه وهذا يدعى ما لا يليق الا للربوبية ولا اله الا الله فلما أظهر الله تعالى عبده السيد أحمد الرفاعى انتصر أهل السنة والجماعة بظهوره وانطمس ظلام أهل البدعة والفساد بطالع نوره وكان مؤيدا القول

جده المصطفى عليه الصلاة والسلام ان الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الامة أمر دينها ولم يزل رضى الله عنه وأرضاه يجاهد فى الله حق جهاده وينشر حكمة أمره الالهى بين عباده الى ان اختاره الله الى دار كرامته وفسيح جنته فانتقل من هذه الدنيا الفانية محفوفا بالكرامة والحمد والثناء الى دار السعادة الباقية سنة ثمان وسبعين وخمسمائة بأم عبيدة من أعمال واسط فى العراق وكان آخر كلامه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن فى قبة جده الشيخ يحيى النجارى رضى الله عنهما وقد اتفق أهل القلوب على ان الدعاء عند قبره مستجاب ويقال ان المصلين عليه أول صفوفهم بأم عبيدة وآخرها بقرية قرنباثا وبينهما مسافة خمس ساعات وبلغ عدد من صلى عليه وحضر مشهد جنازته الى تسعمائة ألف من الرجال غير الصبيان والى ستمائة ألف من النساء ذوات القناع غير الصغار (ورثاه المشايخ والعلماء والشعراء الفضلاء) وممن أكثر فى رثائه نجم الدين أبو الغنائم الواسطى حدثنا شيخنا شيخ الاسلام الحافظ عز الدين أحمد بن ابراهيم الفاروثى ان أبا الغنائم زار قبر السيد أحمد بأم عبيدة فى العام الثانى من وفاته وأنشد تجاه قبره الابيات الآتية فجدد فى قلوب القوم من الحزن مالا يوصف وكتب الفقراء الابيات المذكورة على سوارى الرواق وهى

أمولاى لازالت ربالك ندية * تعاودها بالخارقات النسائم

يقال أبا العباس قدمت انما * لروحك سر عنك فى الحى قائم

أبوك ببغداد وأنت بواسط * وجدك فى فيحاء بصرة نائم

وفى الغرب من آبائكم خير امة * لها فى الحجاز السابقون الاكارم

ومنكم باكناف العراق أئمة * بهم تنجلى فى النائبات العظائم

تفرقكم في الارض شرقا ومغربا * على نشر فضل الله فيه علائم
أقامكم الخلاق للناس رحمة * متى راح منكم قائم جاء قائم

انتهى (ومن عرف جلالة قدر السيد أحمد) حق المعرفة يعترف بأنه فوق ماقيل فيه قضى نحبه مرضيا مباركا وخلفه في المشيخة ابن أخته وولد ابن عمه وزوج بنته السيد الجليل مهد الدولة على بن سيف الدين عثمان بن الرفاعي (توفي قدس الله روحه) يوم الاربعاء قبل الظهر لاحدى عشرة خلون من شهر صفر سنة أربع وثمانين وخمسمائة بفم الدير بظاهر البصرة وحمل الى أم عبيدة ودفن الى جانب خاله رضي الله عنهما ثم توفي بعده أخوه السيد الكبير أبو الرجال مهذب الدولة سيدى عبد الرحيم بن سيف الدين عثمان بن الرفاعي صبيحة يوم الاربعاء أول يوم من شوال سنة أربع وستمائة ودفن بزاوية الرواق الخيلان عند أخيه عبد السلام وولده أبي العلم رضوان الله عليهم أجمعين ثم توفي بعده الشيخ الامام العالم العلامة أبو اسحق سيدى السيد ابراهيم بن على الاعزب قدس الله سره يوم الاثنين لعشر خلون من ذى القعدة سنة عشر وستمائة ودفن مع أبيه وجده بالمشهد الشريف بأم عبيدة ثم توفي بعده السيد السعيد مفتى الفقهاء سيدى شمس الدين محمد بن عبد الرحيم بن عثمان قدس الله روحه ظهر يوم الاربعاء مستهل شهر رجب المبارك سنة تسع عشرة وستمائة ودفن قبلة المشهد الشريف مع جده ثم توفي بعده السيد الشهيد عز الدين عبد الرحمن ابن سيدى عبد الرحيم يوم الجمعة ثامن عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وستمائة وغسلاه الفجر الاول يوم السبت وصلوا عليه قبل الصبح ودفن في مشهد جده عند القبلة ثم توفي بعده العالم الكبير السيد قطب الدين أبو الحسن على بن عبد الرحيم قدس الله تعالى روحه ظهر يوم الخميس الرابع عشر من جمادى

الاولى سنة ست وثلاثين وستمائة ودفن بعد الظهر بالمشهد الشريف الى جانب أخيه عبد الرحمن ثم توفي بعده العالم العارف قدوة الطوائف صاحب الكرامات الظاهرات العابد القانت السيد نجم الدين أبو العباس سيدى أحمد ابن على قدس الله روحه ونور ضريحه يوم الاحد سابع عشر شعبان سنة خمس وأربعين وستمائة ودفن فى مشهدهم امام الجامع برواق تقى الدين ثم توفي بعده السيد السعيد الرشيد العالم سيف الدين على ابن سيدى نجم الدين أحمد قدس الله روحه بواسط سنة احدى وخمسين وستمائة وحمل الى أم عبيدة ودفن بمشهد جده رضوان الله عليهم أجمعين (وقد أجمع رأى الخلفاء من بنى العباس رحمهم الله تعالى على تفويض ولاية واسط لآل الرفاعى) فكانوا يتوارثون الولاية عليها ويرسل الوالى اذذاك من قبل الخليفة بشرط كونه تحت نظر شيخ رواق أم عبيدة وقد لقب الخليفة الناصر السيد على بن عثمان مهذب الدولة ثم بعد وفاته لقب أخاه السيد عبد الرحيم ممهد الدولة ثم بعد وفاته لقب ولده السيد ابراهيم الاعزب نظام الدولة ثم بعد وفاته لقب ابن عمه المتقى الكبير السيد شمس الدين محمد سعد الدولة وبعد وفاته لقب أخاه السيد أبا الحسن عبد المحسن ابن السيد عبد الرحيم عز الدولة ثم بعد وفاته لقب الخليفة المستنصر بالله السيد الكبير أبا الحسن على ابن عبد الرحيم شرف الدولة وبعد وفاته لقب السيد نجم الدين أحمد بن على حسام الدوله ثم لما أفضت الخلافة للمستعصم بأمر الله كتب لسيدى نجم الدين أحمد انى قد أقلتك من النظر على واسط لعلمى ان المشيخة والولاية ضدان لا يجتمعان فكتب له قد أحسن الامام سلمه الله نعم ما كان اسلافنا لذلك بالطالبين ولا اسلافه بالخطئين انما اسلافنا أرادوا الامتثال واسلافه أرادوا التيمن والآن نحن كاسلافنا على طريق الامتثال والامام سلمه الله انصرف لما صرفه

الله اليه وجزاه الله عنا وعن المسلمين خيرا فأعاد الخليفة نظر الولاية له فردها وقال أخشى ان يرانى الخليفة طالبا لها ونحن قوم ولانا الله على القلوب فلا حاجة لنا بولاية الجدران ولم يتم بعد ذلك لمستعصم أمر وانقرضت به الخلافة العباسية وأنفذ الله أقداره وهو تعالى غالب على أمره ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ﴿ومن الحوادث فى زمن الناصر﴾ ان الوزير أبا المظفر عبيد الله ابن يونس أرسل مكتبي داره فى سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكبس دار الركن عبد السلام بن عبد الوهاب ابن الشيخ عبد القادر الجيلي وأخرج منها كتبا بخطه فى فنون منها الشفاء لابن سينا والنجاة ورسائل اخوان الصفا وكتب الفلاسفة والمنطق وتسخير الكواكب والنارنجيات فى السحر فاستدعى ابن يونس وهو يومئذ استاذ الدار للخليفة العلماء والفقهاء والقضاة والاعيان وكان الشيخ أبو الفرج ابن الجوزى فيهم وقرئ فى بعضها مخاطبة زحل يقول أيها الكوكب المضيء المنير الفرد انت تدبر الافلاك وتحيي وتميت وأنت الهنا وفى حق المريخ من هذا الجنس وكان عبد السلام حاضرا فقال له ابن يونس هذا خطك قال نعم قال لم كتبته قال لارد على قائله فلما كان يوم الجمعة ثانى عشر صفر جلس قاضى القضاة والعلماء وفيهم ابن الجوزى على سطح المسجد المجاور لجامع الخليفة وأضرموا تحت المسجد نارا عظيمة وخرج الناس من الجامع فوقفوا على طبقاتهم والكتب على سطح المسجد بين أيديهم فقام رجل يقال له ابن الارستانية فجعل يقرأ كتابا كتابا ويقول العنوا من كتبه ومن يعتقده فضج العوام باللعن وعبد السلام حاضر وتعدى اللعن الى الشيخ عبد القادر وأحمد بن حنبل وقال الخصوم اشعارا منها قول المهذب الرومي

لى شعر أرق من دين ركن الـدين عبد السلام لفظا ومعنى

زحلها يشنا عليا و يهوى * آل حرب حقدا عليه وضغنا
منحته النجوم اذ رام سعدا * وشرورا نحسا وهما وحزنا
سار احراق كتبه سير شعرى * فى جميع الاقطار سهلا وحزنا
أيها الجاهل الذى جهل الحق ضلالا وضيع العمر غبنا
رمت جهلا من الكواكب بالتبـ*ـغير عزا فنلت ذلا وسجنا
ما زحيل وما عطارد والمر يخ والمشترى ترى يا معنى
كل شئ يودى و يفنى سوى الله الهى فانه ليس يفنى

ثم حكم القاضى بتفسيق عبد السلام ورمى طيلسانه وقد أدخل عبد السلام هذا على طريقة الشيخ عبد القادر العجائب فانه عزا اليه من الشطحات والطامات والاقوال المكذوبة العجائب وصنف له رسالة سماها المعراجية صرح فيها بالحلول والاتحاد وخلط بها من مذاهب أهل البدعة ونظم له كلمات ودس فى مواعظه الطامات ونسب اليه انه قال فى مجلس وعظه قدمى هذه على عنق كل ولى لله تعالى وان ذلك كان بأمر من الله تعالى وان أولياء الوجود وضعوا رؤسهم ورقابهم لقدمه (وبالجملة) فان أولاد الشيخ أفسدوا طريقته وكدروا مشربه وقد كان للشيخ ولد لصلبه طحان اسمه سليمان هو من اشرار الناس ومن أهل التجاهر بالمعاصى والفواحش نعم الاب الصالح و بئس الولد الطالح وقد انضم اليه جماعة من العجم فأفشوا فيهم هذه الاقاويل الفاسدة والمعتقدات الباطلة وكان عبد السلام هذا وعمه سليمان من المنهمكين مع أبى القاسم بن الجوزى على الشراب والمردان وأذية الناس وقد هدموا ما بناه الشيخ عبد القادر من الحال الحسن والصلاح وخربوا ذلك الطريق المستقيم والسنن الجميل حسبنا الله ونعم الوكيل وفى سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة مات أبو الركن هذا عبد الوهاب بن

الشيخ عبد القادر وكان ذكيا الا أن مجالس وعظه تمضي بالهزل والمجون سئل عن فضل أهل البيت يعني آل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مجلس الوعظ فقال للسائل اعمو ني وكان أعمش وقد أجاب عن أهل بيت نفسه وله مثل ذلك من الهزل والهذيان أشياء كثيرة ومات ابنه عبد السلام سنة احدى عشرة وستمائة ببغداد وكان أبوه رأى عليه ثوبا بخاريا فقال هذا عجب مازلنا نسمع مسلم والبخاري وأما كافر والبخاري فما سمعنا سامحهم الله تعالى

(خلافة الظاهر)

لما توفي الناصر ولي الخلافة مكانه ابنه الظاهر أبو نصر محمد في سنة اثنتين وعشرين وستمائة ولما ولي أظهر العدل وأزال المكوس وأفرج عن المحبسين وأعاد من الاملاك المغصوبة في أيام أبيه ومن قبله لاربابها مالا يحصى وكان من أعظم الخلفاء تمسكا بالعدل وقد قيل انه لم يل الخلافة بعد عمر بن عبد العزيز مثله وكان من العادة ببغداد أن الحارس يتجسس أحوال الناس في كل درب ويكتب الى الخليفة مطالعة بما تجدد بالدرب من اجتماع الاصدقاء وما سوى ذلك من صغير وكبير فلما أفضت الخلافة الى الظاهر جزاه الله خيرا أبطل هذه العادة وقال لا غرض لنا في معرفة أحوال الناس الا ما يتعلق بمصالح دولتنا وأطلق من المكوس مالا يحصى من ذلك قرية بعقوبا كان يؤخذ منها في كل سنة عشرة آلاف درهم فلما ولي أبوه عاد يؤخذ منها في كل سنة ثمانون ألف دينار فلما ولي أمر بأن يقتصر منها على الخراج الاول وهو عشرة آلاف درهم وهذه قرية واحدة فما ظنك بباقي قرى العراق ووصل اليه صاحب الديوان من واسط ومعه مائة ألف دينار فاغتاظ وأمره أن يردها على أربابها وتصدق في ليلة عيد النحر بمائة ألف دينار وكان يعاتب في ذلك ويقول أنا فتحت وكأني بعد العصر فدعوني

أعمل الخير لانه ولى الخلافة وعمره ستون سنة فظهر للناس وكانت الخلفاء قبله لا يظهرون الا نادرا ولم يقم أكثر من تسعة أشهر ومات وقبل موته بأيام أخرج توقيعا الى الوزير بخط يده من جملته اعلموا انه ليس امهالنا اهمالا ولا اغضاؤنا اغفالا ولكن انبلوكم أيكم أحسن عملا وقد عفرلكم ماقد سلف من خراب البلاد وتشريد الرعايا وقبيح السمعة واظهار الباطل الجلى فى صورة الحق الخفى وقد رزقكم الله سلطانا يقيل العثرة ويقبل المعذرة ولا يؤاخذ الا من أصر ولا ينتقم الا من استمر يأمركم بالعدل وهو يريده منكم وينهاكم عن الجور وهو يكرهه منكم يخاف الله وهو يخوفكم مكره ويرجوا الله وهو يرغبكم فى طاعته فان سلكتم مسالك خلفاء الله فى أرضه وامنائه على خلقه والا فالسلام ومات فى رجب من هذه السنة فكانت خلافته تسعة أشهر ولما مات وجد فى داره ألوف رقاع مختومة لم يفتحها وقال لا حاجة لنا فيها كلها سعايات وكان مخالفا لابيه فى أشياء كثيرة منها أن مدة أبيه طالت وان مدته قصرت وكان أبوه شيعيا وكان هو سنيا وكان أبوه ظالما وكان هو عادلا وكان أبوه فى غاية الشح وكان هو فى غاية الكرم

(خلافة المستنصر)

لما مات الظاهر بويع بالخلافة ابنه المستنصر أبو جعفر المنصور ولما ولى سلك فى الاحسان والعدل سيرة أبيه وفى أيامه أخذت الافرنج بيت المقدس وعادت التاتار البلاد وملكت الافرنج أيضا دمياط وهو الفرنسيس وأصحابه وتوفى المستنصر فى جمادى الآخرة سنة أربعين وستمائة وكانت خلافته تسع عشرة سنة الا اشهرا وهو الذى بنى المدرسة المستنصرية ببغداد وأوقف عليها أوقافا عظيمة وشرط فى وقفه للفقيه الخبز واللحم والحلو والزيت والماء والفحم والصابون والحبر والاقلام والورق لنسخ ما يحتاج اليه من الكتب

والحصير والبسط لبيته والحمام فى كل اسبوع ودينار فى كل شهر ورتب لهم مارستانا خاصا لجميع ما يحتاجون اليه وفى أوائل أيام خلافته عزل القاضى أبا صالح نصر بن أبى بكر عبد الرزاق ابن الشيخ عبد القادر الجيلى من منصب القضاء وبعد سنين شاع ان أبا صالح نصرا هذا ادعى النسب الى الامام الحسن بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه وانه نسب جده الشيخ عبد القادر اليه فقال هو عبد القادر بن أبى صالح عبد الله بن موسى جنكادوست بن أبى عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن داود بن موسى بن عبد الله بن موسى الجون بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى ابن الامام الحسن سبط النبى صلى الله عليه وسلم وقد عارضه بذلك النقيب الاتقى ابن الاعرج والسيد طاهر بن طباطبا وجماعة من الهاشميين ما بين عباسى وفاطمى وجعفرى وطلبوا منه البينة الشرعية على ذلك فأعجزت البينة أبا صالح نصرا ولم يثبت ما ادعاه واعتزل بعد ذلك الناس فكان لا يخرج لا الى سوق ولا الى زيارة أحد حياء من الناس وقال فيه ابن المظفر

اذا كان الاعاجم من قريش * فما فضل العبيد على الموالى
متى صار ابن جنكا هاشميا * أمن بشتير حيدرة الرجال
أم الشرف المؤلق من على * بهرمز نال عقد الاتصال

وكان قد أطلق خطه قبل ذلك فى كثير من كتبه بأن جده الشيخ عبد القادر من آل بشتير بياء تحتية بعد التاء بطن من الهرامزة بكيلان وحكاه آخرون بباء موحدة بعد التاء ويقال انه كتب كتابا الى الشريف بن ميمون نقيب مكة يطلب منه أن يدخلهم فى مشجره مع بنى الحسن عليه السلام فكتب له فى الجواب السلام عليكم ورحمة الله أما انت فعرفناك قاضيا وأما أبوك عبد الرزاق فهو رجل فقيه صالح وأما جدك الشيخ عبد القادر فهو شيخ صوفى تقى يتبرك به

ويطلب

ويطلب صالح دعائه ونسبه بشتبرى كما أنت أطالقت فى بعض كتبك ينتهى الى
بشتبر بطن من الهرامزة بفارس فاتق الله ودع الهاشمية لاهلها والسلام اه
ولازالت دعوى أبى صالح مكتومة لان الشيخ عبد القادر لم يقل بها ولم يقل بها
أيضا أحد من أولاده وأبو صالح هو أول قائل بها وقد كان ابن عمه عبد السلام
يرمى ببغض على عليه السلام والى ذلك أشار المهذب بقوله فيه كما سبق

زحلياً يشناء علياً ويهوى * آل حرب حقداً عليه وضغنا

ومات أبو صالح نصر هذا سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ودفن بباب حرب
ولم يول أحد القضاء من الحنابلة غيره ولذلك أحسن بعضهم ذكره ولبعضهم
فيه أقاويل كثيرة ولما انقضى أمر الخلافة العباسية وصار بقدر الله ما سيأتى
ذكره وفل رباط الامر وأمكن لكل أحد أن يقول ما يريد أظهر أولاد أحفاد
الشيخ عبد القادر الكلمة بدعوى النسب للامام الحسن والناس فيهم على
القول الاول نعم كان السيد تاج الدين ابن السيد شمس الدين محمد بن الرفاعى
يكف عن الطعن بالقاضى أبى صالح ونسبه ويذكره بخير ورعا انتصر له فقال
ساق النقيب الاتقى والسيد طاهر بن طباطبا والجماعة الذين أنكروا على
القاضى أبى صالح مدعاه عدم ادعاء الشيخ وأولاده النسبة المذكورة ولا يقضى
سكوت الشيخ وطبقة أولاده عن ادعاء هذه النسبة بعدمها بل ولا يقضى
جهلهم بها وعدم علمهم اهابردد عوى القاضى أبى صالح ويمكن انه ظهر له ذلك
وتيقنه وعرف صحته ونقله عن جماعة ثقات عنده وهو على حال من الصلاح
والديانة ولا نظن به ارتكاب هذه الدعوى بالباطل وقال جماعة ابن طباطبا وابن
الاتقى سبب انتصار السيد تاج الدين للقاضى أبى صالح تزوجه بأمة الاله اسماء
بنت أحمد بن محمد ابن القاضى أبى صالح نصر الجيلى ولكن ينقض قولهم هذا

ان تزوج السيد تاج الدين بأمة الاله أسماء بعد سنين وأعوام من انتصاره لابي صالح فانه تزوج بها بعد دخول القاضي بغداد وبنى بها ببيت ابن الدواليبي وهو شيخ كبير وهي على طائفة من الزهد والصلاح (وخلاصة ما يقال) ان دعوى القاضي أبي صالح فشت وفشا فيها الخلاف والسكوت عنها وردها الى الله تعالى أولى والله تعالى أعلم واليه المصير له الحكم واليه ترجعون

﴿خلافة المستعصم﴾

لما توفي المستنصر بويع بالخلافة ابنه المستعصم وهو أبو أحمد عبد الله وهو آخرهم وفي أيامه استولت التاتار على بغداد وقتلوا الخليفة وبه انقضت الدولة العباسية من أرض العراق وسببه أن وزير الخليفة مؤيد الدين بن العلقمي كان رافضيا وكان من أهل الكرخ وكان أهل الكرخ كلهم روافض فجرت فتنة بين السنية والشيعة ببغداد على العادة فأمر الخليفة العسكر فنهبوا الكرخ وركبوا من النساء الفواحش فعظم ذلك على ابن العلقمي وكاتب التاتار وأطمعهم في البلاد فقال ان هلاكو لما وصلت اليه مكاتبة الوزير تنكر ودخل بغداد في زي تاجر واجتمع بالوزير وبأكابر الدولة وقرر القواعد معهم ورجع الى بلاده فتجهز وسار الى بغداد في جموع عظيمة من المغل ونزلوا على الجانب الشرقي في سنة ست وخمسين وستمائة وخرج اليهم الوزير فاستوثقهم على أهله ونفسه ثم رجع الى الخليفة وقال ان هذا جاء ليزوج ابنته بابنك ولم يبرح به حتى أخرجه اليه فأنزلوه في خيمة وجعل الوزير يخرج اليهم أكابر بغداد طائفة بعد طائفة حتى كملوا عند التاتار فوضعوا فيهم السيف وقتلوا عن آخرهم وقتلوا الخليفة واختلفوا في كيفية قتله فقيل غرق وقيل خنق وقيل جعل في عدل ورفس حتى مات والله أعلم ثم مدوا الجسر وعدوا وبذلوا السيف في بغداد أربعين يوما حتى

صار الدم فى أزقتها كأفواه الابل ثم نودى بالامان فرفع السيف ولم يبق ببغداد أحد
و يقال انهم بنوا اسطبلات الخيول وطوالات المعالف بكتب العلماء عوضا عن
اللبن * وهو الخليفة المستعصم أبو أحمد عبد الله بن المستنصر أبو جعفر المنصور
ابن الظاهر أبو نصر محمد بن الناصر أبو العباس احمد بن المستضئ ابو على الحسن
ابن المستنجد يوسف بن المقتفى محمد بن المستظهر أحمد بن المقتدى عبد الله بن
الامين ذخيرة الدين محمد بن القائم عبد الله بن القادر أحمد بن الامين اسحق بن
المقتدر جعفر بن المعتضد أحمد ابن الامير الموفق طلحة بن المتوكل جعفر بن
المعتصم محمد بن الرشيد هرون بن المهدى محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن
على بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم وهو آخر الخلفاء العباسيين
وعدتهم سبعة وثلاثون خليفة وكان ابتداء دولتهم من سنة اثنتين وثلاثين
ومائة وانقرضت فى هذه السنة فمدة ملكهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة
واتفق فيهم اتفاق عجيب وهو ان كل سادس منهم مقتول أو مخلوع قيل انه لما ولد
على بن عبد الله بن العباس أتى به الى على بن أبى طالب رضى الله عنه فحنكه ودعا
له ورده الى أبيه وقال خذ اليك أبا الاملاك سميته عليا وكنيته أبا الحسن وذكر
الطبرى أن عليا هذا المذكور دخل على هشام بن عبد الملك ومعه ولداه السفاح
والمنصور وهما صغيران فاوسع له هشام وأجلسه على سريره وقضى حوائجه
وأعطاه ثلاثين ألف درهم وقام من عنده فلما ولى قال هشام لاصحابه ان هذا
الشيخ قد أسن وجعل يخلط فى كلامه و يقول ان هذا الامر سينتقل الى ولدى
فسمعه على فالتفت اليه وقال اى والله ليكونن ذلك وليملكن ولداى هذان وأشار
الى السفاح والمنصور وقال الطبرى أيضا بلغ بعض خلفاء بنى أمية عن على هذا
المذكور أنه يقول ان الخلافة ستصير فى عقبه فأحضره وأمر به فحمل على جمل

طيف به وضرب وكان يقال عند ضربه هذا جزاء من يفتري ويقول ان الخلافة ستصير في ولده فيقول علي اي والله لتكونن الخلافة في ولدي ولا تزال فيهم حتى يأتيهم العلج من خراسان ويملكهم عبيدهم الصغار العيون العراض الوجوه فينزعونها منهم وكان علي مفرطا في الطول كان اذا مشى مع أطوال الرجال بلغ الى منكبي علي وان عليا كان اذا مشى مع أبيه عبد الله بلغ الى منكبيه وان عبد الله كان اذا مشى مع أبيه العباس بلغ الى منكبيه وان العباس كان اذا مشى مع أبيه عبد المطلب بلغ الى منكبيه وان عبد المطلب كان اذا مشى مع أبيه هاشم بلغ الى منكبيه * وأما الطاغي هلاكو فانه أسلم قبل وفاته بشهرين وسبب اسلامه لما أفسد بالمغل والتتار البلاد والعباد وآذى الملة البيضاء الاسلامية وأهلها تجرد له من الطائفة الاحمدية الوليان الكبيران العارفان بالله تعالى وبرسوله صلى الله عليه وسلم الخاجه محمد الدربندي المولد شيخ جبال القفقاسية الواسطي الاصل العالم العامل والشيخ الجليل يعقوب مخدوم جهانيان ووصلا اليه الى ثلث من أعمال سلماس وكان بها ومعهما جم غفير من اتباعهما الفقراء فبذلا له النصيحة وقالا له أنت ملك جليل عاقل ومثلك من يتدين بدين الحق وينصر الحق فقال ان أقمتما الى دليلا ظاهرا على حقية دين الاسلام اتبعته فأقاما له الادلة الشرعية النقلية وأيداها بالادلة العقلية فلم ينفع ذلك عنده وقال أريد حجة ظاهرة وبرهانا بينا يفهمه حتى رعاة الاكاديش من هؤلاء المغل والتتار قالا افعل ما بدا لك فأمر أن تؤجج لهما نارا عظيمة فأججت نار لم يبصر مثلها بتلك الديار وأمر أن يذاب لهما النحاس وان تحلل لهما السموم الناقعة ففعل ذلك كله وهما ينظران وكان أمام هولاكو ولد من أولاده عن دون العشرة فاختطفه الخاجه الدربندي وصاح بأخيه في الحرقة الشيخ

يعقوب وأمر من معه مما بدخول النار فدخلوا جميعا النار وولده ولا كو معهم فصار في غيظ عظيم وهم وكرب فامضى ساعات قليلة حتى انكشفت النار خامدة وخرج الدربندي قدس الله سره وروحه ومعه ولده ولا كوو بيده تفاحة خضراء فقام له هولاكو وسأله عن حاله فقال كنت في بستان جميل واقتطفت من أشجاره هذه التفاحة وشربوا أيضا النحاس المذاب والسموم القاتلة فلم تضرهم باذن الله تعالى فأسلم هولاكو وعظم الملة المحمدية وكف عن أذية المسلمين ببركة هذه الطائفة الرفاعية المرضية رضي الله عنهم وكان من مشايخ الجمع الاحمدي المشاهير في تلك الواقعة أزيد من عشرين شيخا مثل الشيخ صالح بن عبد الله المنيعي البطائحي والشيخ ثابت بن عبد الله بن ثابت الواسطي والشيخ أحمد بن علي بن نعيم البغدادي الحنبلي وغيرهم قدس الله أسرارهم

هكذا الاولياء ان مس خطب * هائل قابلوه بالاحوال
ورجال القطب الرفاعي فيهم * يوم كشف الغطاء أعلى الرجال
ما أقاموا قولا دليلا والا * أيدوه بخارق الافعال

وأما الخلافة فانه لم يزل الامر كذلك بلا خليفة حتى ولى الملك الظاهر بيبرس البندقداري ملك مصر فأحضر اليه العرب شخصا في سنة تسع وخمسين وستمائة وشهدوا أنه ابن الامام الظاهر ابن الامام الناصر وأثبت الملك الظاهر نسبه وبايعه بالخلافة ولقبه المستنصر وعمل له دست الخلافة من سائر ما يحتاج الخليفة اليه فيقال انه أنفق عليه ألف ألف دينار وسيأتي خبر القصة

سبحان من هو لا يزول وغيره * مهما استمد له الزمان يزول

(اشارة لطيفة) أما بيوت الملك والامارات من الاسلام الآن فمنهم امام الزيدية باليمن وهو من بقايا الحسنيين القائمين بآمل الشط من بلاد طبرستان وقد كان

سلفهم جاذب الدولة العباسية حتى كاد يطيح رداءها ويشمت بها أعداءها وهذه البقية الآن بصنعاء وبلاد حضرموت وما والاهما من بلاد اليمن وأمراء مكة تسر طاعته ولا تفارق جماعته والامامة الآن منهم في بني المطهر واسم الامام القائم في وقتنا حمزة ويكون بينه وبين الملك الرسولي باليمن مهادنات ومفاسخات تارة وتارة وهذا الامام وكل من كان قبله على طريقة ما عدوها وهي امارة أعرابية لا كبر في صدورها ولا شمم في عرانينها وهم على مسكة من التقوى وترد بشعار الزهد يجلس في ندي قومه كواحد منهم ويتحدث فيهم ويحكم بينهم سواء عنده المشروف والشريف والقوي والضعيف وربما اشترى سلعته بيده ومشى في أسواق بلده لا يغلظ الحجاب ولا يكل الامور الى الوزراء والحجاب يأخذ من بيت المال قدر بلغته من غير توسع ولا تكثر غير مشبع هكذا هو وكل من سلف قبله مع عدل شامل وفضل كامل * ومنهم أمير مكة المشرفة وامرتها في الاشراف بني حسن واستقرت في أولاد أبي نمي وهي الآن في رميثة (ومنهم) أمير المدينة المنورة وهي في بني حسين ثم الآن هي في بني جماز بن شيحه وتفرد بها طفيل ابن منصور بن جماز وقد كان جدهم فقيها من أهل العراق قدم على السلطان صلاح الدين فأمره على المدينة فاستقرت فيها قدمه وقدم بنيه (ومنهم) صاحب اليمن وهو الملك المجاهد سيف الدين علي بن الملك المؤيد هزبر الدين داود من بيت رسول وكان جدهم هذا رسول ميراخور الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل أبي بكر بن أيوب فلما بعث الملك الكامل ولده الملك المسعود اطسز وهو الذي تسميه العامة اقسيس بعث معه رسولا ميراخور في جملة من بعثه معه ثم تنقلت الاحوال حتى استقر رسول بملك اليمن وصار الملك في عقبه الى الآن (ومنهم صاحب برّ العدوة) وهو السلطان عثمان من بني عبد الحق وهم من بني

مرين وبنو مرين من البربر ملكوا بعد الموحدين وورث هـذا السلطان ملك المرفيين نسبته وملك بنى عبد الواد تلمسان وأطاعه ملك الاندلس وكان له ملك افريقية وعرض عليه ابنته فتزوج بها فساقها اليه الامه (٢) وبنو مرين رجال الوغى وناسها وأبطال الحرب وأحلاسها وهم يفخرون بغزارة علمه وفضل تقواه وهو اليوم ملك ملوك العرب وموقد نيران الحرب (ومنهم صاحب أفريقية) ملك تونس لا يدعى الا بالخلافة ويتلقب بألقاب الخلفاء ويخاطب بأمير المؤمنين فى بلاده ويدعى النسب الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه ومن أهل النسب من ينكر ذلك فنهم من يجعله من بنى عدى بن كعب رهط عمر وليس من بنى عمر ومنهم من يقول بل من هنتانة ليسوا من قبائل العرب فى شئ وهم الحفصيون نسبة الى أبى حفص أحد العشرة أصحاب ابن تومرت وهم بقايا الموحدين اذ كان من تقرير ابن تومرت أن الموحدين هم أصحابه ولم يبق ملك الموحدين الا فى بنى حفص هذا وملكهم غربا من جزائر بنى مزغنا الى عقبة برقة الفارقة بين اطرابلس وبين برقة وهو نهاية الحد الشرقى ومن الشام البحر ومن الجنوب آخر بلاد الجديد وأرض السواحل الى ما يقال ان فيه موقع المدينة المسماة بمدينة النحاس وهو أصل ملوك الغرب مطلقا الا أنه قد ضعف متنه بقوة سلطان المرينى المجاور له واختلاف رعيته عليه واستطالة يد العرب فى الحكم (ومنهم صاحب الأندلس) من ولد قيس بن سعد بن عبادة شاب فاضل له يد فى الموشحات مقره غرناطه ومكانه منها القصبة الحمراء ومعنى القصبة عندهم القلعة وتسمى حمراء غرناطه (ومنهم ملك التكرور) وهو صاحب مالى ومالى عبارة عن اسم اقليم والتكرور مدينة من مدنها وكذلك كوكو وحد مملكته فى الغرب البحر المحيط وفى الشرق بلاد البرنو وفى الشمال جبال البربر وفى الجنوب

الهمج وأما غانه فانه لا يملكها وكأنه مالكها يتركها عن قدرة عليها لان بها وبما
وراءها جنوبا منابت الذهب وقد جرب أن بلاد منابت الذهب متى أخذت وفشا
فيها الاسلام والاذان عدم نبات الذهب منها فصاحب مالى يتركها لذلك لانه مسلم
وله عليها أتاوة كبيرة مقررة تحمل اليه فى كل سنة ونبات الذهب بها يبدأ فى شهر
أغشت ويقع والله أعلم أنه مركب من تموز وآب حيث سلطان الشمس قاهر
وذلك عند أخذ النيل فى الارتفاع والزيادة فاذا انحط النيل تتبع حيث ركب
عليه من الارض فيؤخذ منه ماهو نبات يشبه النجيل وليس به فن قراميه
الذهب ومنه مايوجد كالحصى والاول أفضل وأخلص وأقوم فى العيار وملك
التكرور هذا يدعى نسبا الى عبد الله بن صالح بن الحسن بن على بن أبى طالب
رضى الله عنهم (ومنهم صاحب البرنو) بلاده تحد بلاد ملك التكرور فى الشرق
ثم يكون حدها من الشمال بلاد صاحب افريقية ومن الجنوب بالهمج (ومنهم
صاحب الكانم) من بيت قديم فى الاسلام وجاء منهم من ادعى النسب العلوى
فى بنى الحسن وتمذهب بمذهب الشافعى (ومنهم صاحب ماردين) وهو الملك
المنصور وهو من بنى ارتق وهم أهل مملكة قديمة كان جدهم من أكابر أمراء
السلطان ملك شاه ابن الب ارسلان السلجوقى ومن خدمته ترقى الى الملك
وصارت هذه المملكة بماردين وأعمالها فى عقبه الى الآن (ومنهم صاحب
حصن كيفا) من بقايا الملوك الايوبية وممن نظر اليه ملوك مصر بعين الاجلال
لمكان ولائهم القديم لهم واستمرار الود الآن بينهم وقد كان آخر وقت منهم الملك
الصالح (ومنهم صاحب أرزن) بلده صغير وقدره كبير من ملوك آل سلجوق
ومن بقايا أولئك السلاطين الذين دوّنوا الدول وملكوا العبيد والخول
واعتدلت التيجان على مفارقهم ودكت الجبال لمجرى سوابقهم وهو ملك

لا يعرف قدر أصالته ولا كنه جلالته ويلقب بالملك القاهر ويتهم بمذهب
النصيرية وله احسان الى من يعتزّ به والى الرعية الا أن الاكراد أمراء الجبال المطلة
عليه والمجاورة له قد نقصوا أطرافه وأكثروا تخطف رعاياه وتحيف بلاده (ومنهم
صاحب بدليس) هو الامير شرف الدين أبو بكر ويتهم بمذهب النصيرية وبلده
صغير ودخله يسير وعمله ضيق وهو طريق المارة الى الاردو اذا لم يكن بالعراق
وله خدم مشكورة (ومنهم صاحب هراة) ولا يجرى على الالسن الآن
الا صاحب هرى وملكها الملك غياث الدين كان ملكا جليلا نبيلا مفخما
معظما له مكانة عند الملوك الهولاكوهية ومنزلة رفيعة عليه وكان
بين غياث الدين وبين النوين جوبان مودّة أكيدة وصداقة عظيمة فلما دارت
به دوائر الزمان وأفضت به الحال الى الحرب لجأ الى صاحب هرى هذا على أنه
يسهل له الدخول الى صاحب الهند او الى ملك ماوراء النهر فأجابه وأنزله وبسط
أمله وأسرّ له الخداع حتى اطمأن اليه فاصعده الى قلعته ليضيفه فصعد ومعه
ابنه جلوقان وهو ابنه من خوترة بنت السلطان خذابنده وحال صعود جوبان
وابنه جلوقان القلعة أمسكهما غياث الدين وخنقهما ليتخذ بذلك وجها عند
السلطان أبي سعيد وبعث بذلك الى أبي سعيد فشكر له امساكهما وأنكر عليه
التعجيل في قتلهما فاعتذر بأني لولم أقتلهما لم آمن استعداد من معهما لمحاصرتي
فقبل عذره وطلب منه ابهام جوبان ليعرف انه قد قتله وكان فيه زيادة سلعة
ظاهرة يعرف بها فجهزه اليه فاكرم رسله وبعث اليه بالخلع وأمر باصبع جوبان
فطيف بها في الممالك ثم سألت بغداد خاتون بنت جوبان وكان قد تزوج
بها أبو سعيد وكان بها الكلف الشديد في نقل أجسادهما فنقلت فعقدت لهما
المأتم ثم أمرت بحملهما الى مكة المعظمة ثم الى المدينة المشرفة ليدفنا في

التربة الجوبانية التى كان جوبان أعدها لدفنه حال حياته فمكنت من ذلك الامن الدفن فانهما دفنا بالبقيع (ومنهم جماعة الاكراد) هم خلائق لا تحصى وأمم لا تحصر ولولا أن سيف الفتنة بينهم يستحصد قائمهم و ينبه نائمهم لفاضوا على البلاد واستضافوا اليهم الطارف والتلاد ولكنهم رموا بشتات الرأى وتفرق الكلمة لا يزال بينهم سيف مسلول ودم مطلول وعقد نظام محلول وطرف بالدماء مبلول ولهم رأسان كل منهما جليل ولكل منهما عدد غير قليل وهما صاحب جولمرك وصاحب عقرشوش والكبير منهما الذى تتفق طوائف الاكراد مع اختلافها على تعظيمه والاشارة بأنه فيهم الملك المطاع والقائد المنيع هو صاحب جولمرك وهو صاحب مملكة متسعة ومدن وقلاع وحصون وله قبائل وعشائر وأنصار وهم ينتسبون الى عتبة بن أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت قد انتهت الامرة فيهم الى الملك أسد الدين موسى ابن محلى بن موسى بن سكلان وكان رجلا كريما عظيما نهابا وهابا تجله ملوك الممالك الجليلة وتعظمه حكام الازد وصاحب مصر واشارته مقبولة عند الجميع فاذا اقتتلت طائفتان من الاكراد فتقدم اليهما بالكف كفوا وسمعوا له * وأما الثانى فهو صاحب عقرشوش وملوكها الآن من أولاد المبارز وكان مبارز الدين كذلك رجلا شجاعا كريما يغلب عليه غرائب من الهوس فيدعى أنه ولى من الاولياء يقبل النذر فكانت تنذر له النذور تقربا اليه بما اتفق عليه لاعتقادا فيه فيسر بذلك فاذا أتاه النذر أضاف اليه من ماله وتصدق به جميعا وأهل هذا البيت يدعون عراقة الاصل فى الامرة وقدم السودد فى الحشمة ويقولون انهم عقدت لهم ألوية الامارة وتسلموا أزمة هذه البلاد وتسنموا صهوات هذه الصياصى بتأثير الخلفاء وانهم كانوا أهل وفاء ولهم فى هذا حكايات كثيرة

واخبار

واخبار مأثورة وهم أهل تنعم ورفاهية ونعمة ظاهرة وبزة فاخرة ودور مزخرفة
ورياض مفوّفة وخيول مسوّمة وجوارح معلمة وخدم وغلمان وجوار
حسان ومعازف وقيان وسماط ممدود وخوان وأهل عشرة واخوان
(وأما امراء الاتراك) بالبلاد المعروفة الآن ببلاد الروم وتسمى ايضا ببلاد
الدروب وهى البلاد المنحصرة بين بحرى القرم والخليج القسطنطينى تنتهى فى
شرقها الى بحر القرم وهو المسمى ببحر نيطش ومانيطش وفى الغرب الى الخليج
القسطنطينى وينتهى متشاملة الى القسطنطينية وتسمى اسطنبول وهو اسمها
القديم وهى قاعدة ملوك الروم ومنها تقعد راياتهم وتقوم وتنتهى جنوبا الى
بلاد ابن لاون وهى بلاد الارمن يحدّها البحر الشامى وهذه البلاد بلاد متسعة
وهى مفرقة لملوك مجتمعة واغاهم لايطلق عليهم الا اسم الامارة ولا انتظام
لكلمتهم ولا اجتماع لجملتهم * وأما عظماء الملوك بايران وتوران وما والاهما من
البلاد الشرقية من مجرى الفرات الى مطلع الشمس فاعلم أن ايران مملكة
الاكاسرة وهى من الفرات الى نهر جيحون حيث بلخ ومن البحر الفارسى
وما صاقبه من البحر الهندى الى البحر المسمى بالقلزم ببحر طبرستان وهى المملكة
الصائرة الى بيت هولاكو وقد دخل فيها مملكة الهياطلة وهى بلاد مازندران
وما يليها الى آخر كيلان وهى تسمى كيلان وجيلان وبلاد الجبل وطبرستان
واقعة بينهما أعنى من مازندران وكيلان ومازندران الآخذة شرقا وكيلان
الآخذة غربا وأما توران فهى مملكة الخاقانية كانت بيد افراسياب ملك
الترك وهى من نهر بلخ الى مطلع الشمس على سمت الوسط فما أخذ عنها
جنوبا كان بلاد السند ثم الهند وما أخذ عنها شمالا كان بلاد الخفجاج وهم
طائفة القبجاق وبلاد الصقلب والجهاركس والروس والماجار وما جاورهم

من طوائف الامم المختلفة سكان الشمال ويدخل في توران ممالك كثيرة
وبلاد واسعة وأعمال شاسعة وأمم مختلفة لا تكاد تحصى تشتمل على بلاد غزنة
والباميان والغور وماوراء النهر وهذا النهر الذي ينساب اليه جيحون نحو
بخارى وسمرقند والصغد والخوجند وغير ذلك وبلاد تركستان وأشروسنه
وفرغانه وبلاد صاغون وطراز وصيرم وبلاد الخطا نحو بشمالق والمالق الى
قراقرم وهي قرية جنكزخان التي أخرجته وعريسته التي أدرجته ثم ماوراء
ذلك من بلاد الصين وصين الصين وكل هذه ممالك جليلة وأعمال حفيله
وملوكها سلاطين عظام وملوك كرام قد أكرمهم الله الآن بالاسلام وشرفهم
باتباع نبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام (وأما مملكة ايران) فكان العهد
بها أن تكون لرجل واحد وسلطان فرد مطاع وعلى هذا مضت الايام (وأما)
بقية ديار بكر فهي بيد ابراهيم شاه ابن بادنباري بن سوتاي (وأما) مملكة
أذربيجان وهي قطب مملكة ايران ومقر كرسي ملوكها من بني جنكزخان فهي
بيد أولاد جوبان وبها القان القائم الآن سليمان شاه ولا اعرف صحة نسبه ولا
سياقته بالدعوى (وأما خراسان) فبيد القان طغيتمر وهو صحيح النسب غير أني
لم أعرف أسماء آبائه (وأما بلاد الروم) فقد أضيف منها الى ايران قطعة متصالحة
وبلاد نازحة (واما) مملكة توران فهي منقسمة ثلاثة أقسام كان آخر العهد
بها الى انقضاء الايام الناصرية وبها سلطانان مسلمان وسلطان كافر وهو أكبر
الثلاثة وهو المسمى بالقان الكبير صاحب التخت وهو صاحب الصين والخطا
ووارث تخت جنكزخان قد أسلم ودان دين الاسلام ورقم كلمة التوحيد على
ذوائب الاعلام وعلى هذا فقد ملأت الامة المحمدية الخافقين وعمت المشرق
والمغرب وامتدت بين ضفتي البحر المحيط (وأما الملكان المسلمان) فاحدهما

صاحب السراى وخوارزم والقرم ودست القبجاق وهى المملكة المعروفة ببيت بركة وكان يسمى صاحبها فى قديم الزمان زمان الخلفاء وماقبله صاحب السرير وأما الثانى منهما فهو صاحب غزنة وبخارى وسمرقند وعامة ماوراء النهر وكان حسن الاسلام عادل السيرة طاهر الذيل مؤثر اللخير شبا لاهله مكرما لمن يرد عليه من العلماء والصلحاء وطوائف الفقهاء والفقراء (وأما) صاحب الهند فهو طغلق شاه وهو من أعظم ملوك الارض شرقا وغربا وجنوبا وشمالا وبرا وبحرا وسهلا ووعرا وسمته فى بلاده الاسكندر الثانى وبالله انه يستحق أن يسمى بذلك ويدسم به لاتساع بلاده وكثرة أعداده وغزر أمداده وشرف منابت أرضه ووفور معادنه وماتنبته أرضه ويخرجه بحره ويجيئ اليه ويرد من البحار عليه وأهل بلاده أمم لاتحصى وطوائف لاتعد ﴿هذا﴾ ما انتهى اليه وسع القلم وساعد عليه الزمان وأعانت على جمعه المقادير من تعداد ملوك الاقطار والأمراء وفى كل حال الامر لله القديم الازلى الذى هو على كل شئ قدير

﴿وأما أمراء البادية من العرب فهم بديار مصر وبرقة واليمن والحجاز والشام والعراق والبحرين أمم لايقدر فيهم على الاستيعاب وانما نذكر جملا كافية دالة على عظمائهم وأكابر أمرائهم المخاطبين من قبل ملوك الاسلام فى مصر والعراق والشام فنقول (أما العرب) بمصر فى الوجهين القبلى والبحرى فجماعات كثيرة وشعوب وقبائل لكنهم على سعة أموالهم واتساع نطق بأعاتهم ليسوا عند السلطان فى الذروة ولا السنام اذ كانوا أهل حاضرة لايخرجون عن جدر الجدران وأنبههم أمراء البحيرة وهم أشبه القوم بالتخلق بخلائق العرب فى الحل والترحال يغربون الى القيروان وقابس ويفدون على سلاطين مصر (ومنهم) آل مالك أمراء الحدادية وأميرهم ذو عدد جم وشوكة عظيمة يغزو

الحبشة وأمم السودان ويأتى بالنهاب والسبايا وله أثر محمود وفعل مأثور (وأما عرب الحجاز) فهم على قسمين قسم منهم أهل الدربين المصرى والشامى وليس فيهم من هو فى عير ولا نفير ولا يحل فى ذروة ولا غارب وأما أمراؤه السراة فشيوخ لام وخالد والمنتفق وعابد الحجاز (وأما عربان الشام) فهم أجل القوم وعين الناس ولا عناية للملوك الا بهم ولا مبالاة بغيرهم ورأس الكل آل فضل وآل مهنا وآل على وهم من آل فضل الا أنهم ينقسمون الى أصلين أما آل فضل بن ربيعة فهم سلالة من طيئ ويزعم بعض شيوخهم أنهم من ولد على بن جعفر ابن يحيى البرمكى من العباسة بنت المهدى ولو اقتصروا على عدهم فى طيئ كان أبدع لشرفهم وأقوم لفخارهم اذ لا تعدل العرب بفارس وأما جماعاتهم فمن أشتات العرب على اختلاف الشعوب والقبائل مستخدمون معهم أو منضمون اليهم وأما القسم الثانى فهم آل الفضل بن عيسى بن مانع بن محمد الاشقر بن سليمان بن سيف بن فضل بن عيسى بن عبد الكريم بن مصلت بن مهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن سيف الله خالد بن الوليد رضى الله عنه ومهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد مات عن ثلاثة أولاد سليمن وعيسى ومصلت فسليمن وعيسى أمهما طائية وهى البيضاء بنت فضل أجل الامراء الطائيين آل فضل ابن ربيعة أمراء طيئ الذين سبق ذكرهم وفضل بن ربيعة جد آل مهنا المخزوميين لام وآل عيسى أمراء ربيعة من طيئ وهم بنو عيسى بن مهنا بن مانع بن حديثة بن عقبة بن فضل وفضل هذا ينتهى الى فضل بن ربيعه نزل عليه مهنا بن فضل بن محمد بن عبد الرحمن بن خالد بن الوليد رضى الله عنه قافلا من نجد مع طائفة من بنى مخزوم فأكرم مثواه وأعزه ولم يكن لفضل أمير ربيعة سوى بنت اسمها البيضاء ويلقبونها الفاطر وكان قد أسن ولم يكن اذ ذاك بآل الفضل بن ربيعة

من يقوم مقامه ويشا كله فى شأنه وعظم بيته فتوسم النجدة والغيرة وعلو الجانب بمهنا بن فضل الخالدى فزوجه ابنته البيضاء وكان لمهنا الخالدى المذكور زوجة أخرى من بنى عمه وله منها ولدا سمه صلت فأعقب من البيضاء بنت الامير فضل الطائى الربيعى سليمن وعيسى واليهما انتهت ادارة آل فضل (قال الحمدانى) آل فضل بطن من آل ربيعة من طيء وهم بنو فضل بن ربيعة وهم عدة بطون أعظمهم شأنا وأرفعهم قدرا آل عيسى وأميرهم أعلى رتبة عند الملوك وغيرهم من سائر أمراء العرب ومنازل آل فضل هؤلاء من حمص الى قلعة جعبر الى الرحبة آخذين على شق الفرات وأطراف العراق حتى حدهم قبلة بشرق الى الوشم آخذين يسارا الى البصرة قال ولهم مياه كثيرة ومناهل ماء موروده فهم كما قيل

ولها منهل على كل ماء * وعلى كل دمنة آثار

وآل على منهم واغار نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الامرة الى عيسى بن مهنا وبقى عيسى بن مهنا جار الفرات فى تلابيب التتار ولهذا ايضا عفا كرامهم وتوفر لهم الاقطاعات وتسنى العطايا وقد صاروا الآن أهل بيتين بيت مهنا بن عيسى وبيت فضل بن عيسى وتقسمت بقية بنى عيسى قسمين مع كل أهل بيت منهم اقسم وآل ملحم بن مهنا من بقية أمراء طيء الاول وهم أهل السابقة فى امارة عرب الشام وأصحاب الذورة الشامخة فيهم وهم المعنيون بالمخاطبة من الملوك والسلاطين (ومنهم آل الراشد الفضلى) من بنى سيدنا العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم وهم أمراء قبيلة الحيار والاشعات المجتمعة عليهم من الطوائف المتفرقة وينتهون الى الامير أحمد بن الطاهر محمد بن الناصر لدين الله أحمد كان جدهم محبوسا ببغداد وقد أطلق فى واقعة التتار فهرب وصار الى

عرب العراق فلما أن سلطن الملك الظاهر بيبرس وفد عليه فى رجب ومعه عشرة من بنى مهاوش فركب السلطان للقائه ومعه القضاة والدولة فشق القاهرة ثم أثبت نسبه على يد قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الاعز ثم بويع بالخلافة فأول من بايعه السلطان ثم قاضى القضاة تاج الدين ثم الكبار على مراتبهم ونقش اسمه على السكة وخطب له ولقب بلقب أخيه وفرح الناس وركب يوم الجمعة وعليه السواد الى جامع القلعة وصعد المنبر وخطب خطبة ذكر فيها شرف بنى العباس ودعا فيها للسلطان وللمسلمين ثم صلى بالناس ثم رسم بعمل خلعة خليفة السلطان وبكتابة تقليد له ثم نصب خيمة بظاهر القاهرة وركب المستنصر بالله والسلطان يوم الاثنين رابع شعبان الى الخيمة وحضر القضاة والامراء والوزير فألبس الخليفة السلطان الخلعة بيده وطوقه ونصب منبرا فصعد عليه فخر الدين بن لقمان فقرأ التقليد ثم ركب السلطان بالخلعة ودخل من باب النصر وزينت القاهرة وحمل الصاحب التقليد على رأسه راكبا والامراء مشاة ورتب السلطان للخليفة أتابكا واستادارا وشرابيا وخزندارا وحاجبا وكاتبا وعين له خزانة وجملة مماليك ومائة فرس وثلاثين بغلا وعشرة قطارات جمال الى أمثال ذلك من الذى يجب ويلزم ولم يل الخلافة أحد بعد ابن أخيه الا هذا والمقتفى ﷺ وأما صاحب حلب الامير شمس الدين أقوش فانه أقام بحلب خليفة ولقب الحاكم بأمر الله وخطب له ونقش اسمه على الدراهم ثم ان المستنصر هذا عزم على التوجه الى العراق فخرج معه السلطان يشيعه الى أن دخلوا دمشق ثم جهز السلطان الخليفة وأولاد صاحب الموصل وعزم عليه وعليهم من الذهب بألف ألف دينار وستة وستين ألف درهم فسار الخليفة ومعه ملوك الشرق وصاحب الموصل وصاحب سنجار والجزيرة فاجتمع به الخليفة الحلبى الحاكم

ودان له ودخل تحت طاعته ثم سار ففتح الحديثة ثم هيت فجاءه عسكر من التتار فتصافوا اله فقتل من المسلمين جماعة وعدم الخليفة المستنصر فقيل قتل وقيل سلم وهرب فأخذ مرته البلاد وتولى بعده بسنة الحاكم الذى كان بويع بحلب وهو الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد بن أبى على الحسن القبى بن على بن أبى بكر ابن الخليفة المسترشد بالله بن المستظهر بالله كان اختفى وقت أخذ بغداد ونجا ثم خرج منها وفى صحبته جماعة فقصد حسين بن فلاح أمير بنى خفاجة فأقام عنده مدة ثم توصل مع العرب الى دمشق وأقام عند الامير عيسى بن مهنا المخزومى الخالدى الذى سمى ذكريته أمير بنى مخزوم وطىء ورئيس الأحلاف من عرب الشام وكانت اقامته عنده مدة طويلة وزوجه بأخته زبيدة وأعقب منها أولادا أبقاهم ببادية الشام مع أخوالهم وهم الآن أمراء الحيار وقد كان مهنا كاتب الملك الظاهر بيبرس فيه فطلبه فقدم الى القاهرة ومعه ولده وجماعة فأكرمه الملك الظاهر وبايعوه بالخلافة وامتدت أيامه بعز وشرف عظيم وحرمة وأمر مطاع والله يفعل ما يريد ﴿﴾ وأما العرب الذين بالجفار وهى منازل الرمل فلا يؤبه اليهم ولا يعبأ بهم وأما بقية عرب الشام فهم نحو زبيدا المرج وزبيد حوران وخالد حمص والمشارقة وغزية اذا أطاعوا وزبيدا الأحلاف وهؤلاء جملة عرب الشام وأما عرب العراق وهم عبادة وخفاجة ومن عبادة بنو عزوهم جماعة وأما عرب البحرين فهم قوم يصلون الى باب السلطان وصول التجار يجلبون جياد الخيل وكرام المهارى واللؤلؤ وأمتعة من أمتعة العراق والهند ويرجعون بأنواع الخيام والانعام والقماش والسكر وغير ذلك ويكتب لهم بالمسامحة فيردون ويصدرون وبلادهم بلاد زرع وضرع وبر وبحر ولهم متاجر مربحة وواصلهم الى الهند لا ينقطع وبلادهم ما بين العراق والحجاز ولهم

قصور مبنيه واكام عليه وريف خير متسع الى مالهم من النعم والماشية والحاشية
فسبحان من ذرأ وبرأ وأمات وأحيا وله الأمر فى الآخرة
والاولى ۞ وقد كان تلخيص هذا الكتاب المختصر من
أخبار الخلفاء الكرام عليهم رحمة الملك العلام
فى أواخر سنة ست وستين وستمائة
وكفى بالله وليا ونصيرا والحمد
لله رب العالمين

﴿فهرست كتاب مختصر أخبار الخلفاء العباسيين﴾

صحيفة

صحيفة

﴿تمت الفهرست﴾

